



التحيزات الدينية

مجلة فصلية - العدد ٤١ (أيلول - كانون الأول ٢٠٢٣)

ALTINOLUK

إن السبيل للنجاة من الجاهلية الحديثة واضح، فكل من يريد النجاة فليس له إلا اتباع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي هو عنوان الحقيقة والنجاة. فدعوته القائمة على العبودية لله وحده ورؤية الناس سواسية كأسنان المشط هي الأساس الوحيد الذي ينجي الإنسان من العبودية لغيره.

ما يلهي منا

الفلاح

لا الرفاه





أيها الأخوة القراء:

هناك مؤثران مهمان يؤثران أكبر تأثير في شخصية الإنسان:

أحدهما الناس الذين يكون لبعضهم الحب ويلتقون على أساسه، والآخر الكسب. لهذا يجب الانتباه إلى الناس الذين نكنُّ لهم المحبة في قلوبنا، لأن الإنسان يجد الطريق الصحيح والخاطئ بتحريض الذين يحبهم وتشجيعهم.

والشيء الثاني الذي يجب أن ننتبه إليه كثيراً هو المال الذي في جيوبنا، فيجب ألا نخلط الحرام فيه.

وقلب الإنسان يكون في أغلب الأحيان على حسب الكيفية المعنوية لتأثير هذين المؤثرين، وتتكون الأعمال بناءً على الشكل.

إن هناك سراً في المال، فهو يذهب في الطريق الذي أتى منه. يعني أن المال الحلال يُصَرَّف في الخير بمعناه الحقيقي، بينما المال الذي يأتي من طريق الشر، فإنه يكون رأسمال للشر.

إن قَدَر المال يكون متدخلًا في قدر الإنسان، حيث يظن كل واحد أنه يتحكم بالمال ويصرفه في المكان الذي يريده. ولكن الحقيقة أن المال يذهب في المكان الذي يليق به، حسب الطهارة المعنوية التي تم كسب المال من خلالها، حتى أنه يوجه إرادة صاحبه ومالكه بالاتجاه الذي يسير هو إليه، وهذا يعني أن السيطرة في كثير من الأحيان تكون للمال وليس لمالكه...

إن المال مثل الثعبان الذي لا يخرج إلا من الجحر الذي دخل منه قبل ذلك. فالذي يدخل في جيبه المال الحرام يفسد عمله، ويضيع الإخلاص في عمله على أقل تقدير. لذلك فإنه من المهم معرفة الكيفية والوسيلة التي كسب بها المال، ويجب أن ندقق بشكل كبير جداً على أن يكون طريقة كسبنا من طريق المشروع، من أجل سكينتنا المادية والمعنوية.



المحتويات

الميزاب الذهبي

مجلة تصدر كل أربعة أشهر

العدد الواحد والأربعون
(أيلول - كانون الأول ٢٠٢٣)

رئيس التحرير

بيت الله دميرجي أوغلو

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت الله دميرجي اغلوا

حسام يوسف

آدم أزدмир

د. مراد قايا

لقمان حلوجي

التصحيح والتدقيق اللغوي

أ. حسن مرشد

التصميم والتنضيد والخراج الفني

حسام يوسف

دار النشر والطباعة

İkitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel: +90 212 671 07 00 Faks: +90 212 671 07 48

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري

يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات

والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

www.islamicpublishing.org

almizab2011@hotmail.com

almizab2011@gmail.com

١٥



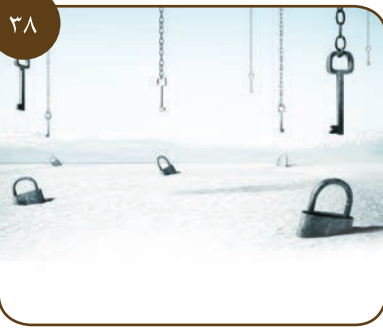
هل نهتم بالإصلاح؟
محمد لطفي أرسلان

٣



ما يلزمنا الفلاح لا الرفاه
الأستاذ: محمد كوبرولو

٣٨



الفلسفة لا تنتج علماً يفوق الزمن
الأستاذ د. أرغون يلدرم

٢٨



إحياء القلب
الأستاذ: عثمان نوري طوباش

٢٧	لا إذا دعا مسلم لأخيه المسلم	١	كلمة التحرير
٢٨	إحياء القلب	٣	ما يلزمنا الفلاح لا الرفاه
٣٤	اتباع الحبيب الأعظم	٦	عنوان الفلاح
٣٦	أود أن أكون لله جوالاً لله بيد والدي	٨	اطلب الرزق منه تعالى
٣٨	الفلسفة لا تنتج علماً يفوق الزمن	١٠	مسؤولية أغنياء المسلمين
٤٠	الآلم نعمة أيضاً	١٢	الحماسة للعطاء قبل السرور بالأخذ
٤٢	الإسلام والحياة	١٥	هل نهتم بالإصلاح؟
٤٨	الخير في ترك التثليث	١٨	الجوانب الإعجازية في القرآن الكريم
٥٠	شجرة العائلة	٢٠	مقياس الحياة في الإسلام
٥٢	زيد بن أرقم	٢٢	سر العشق في الاختلاف
٥٥	الأسوة الحسنة	٢٤	صفحة جديدة قلب طاهر
٥٦	رؤية العالم بقلب صافٍ	٢٦	تسليم رسول الله ﷺ

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة



ما يُلزمنا الصلاح لا الرفاه

إنسان اليوم مُصاب بفيروس المنافع والمصالح الاقتصادية. وصار هدفه بالعيش حياة أرفه وأترف وأحسن كالقيد مضرّوباً على عنقه. فالدنيا تحتاج إلى تغيير العقلية، ونحن لا نحتاج إلى الرفاه بل إلى الفلاح. فالرفاه محدود بهذه الدنيا، وأما الفلاح فهو النجاة الحقيقية التي فيها السعادة في الدارين.



وتستند إلى عون القريب وإن كان ظالماً. وكانت هذه العصبية تدافع عن مصالح طبقة أشرف مكة في النظام الاقتصادي الاستغلالي، وتجعل جميع الروابط الأخرى في مرتبة ثانية إن كان الحديث عن المنافع. وكان أهل مكة يكفون عن النزاع بالأحلاف أو الاتفاق على أمر مثل الشهر الحُرْم، ولا يفسدون امتيازاتهم ومصالحهم التجارية.

كانت الجاهلية عقلية تحوّل كل شيء إلى تجارة، فكلُّ شيء للإنسان قد يكون موضوع تجارة، ويكفي في هذا الشأن هوية الطالب والرضا بالتخلي عن ذلك الشيء. وكان يمكن استغلال أي شيء باسم التجارة، وعلى رأس هذا الاستغلال كان استغلال المقدّسات. فقد جعل أهل مكة الأصنام التي كانوا يظنون بأنها

كانت الجاهلية نظاماً اقتصادياً استغلاليّاً، وكانت مكة مركزُ هذا النظام سوقاً معروفةً منذ القديم. وكان للنزاع بين الإمبراطوريتين العظيمتين آنذاك الفارسية والبيزنطية دورٌ كبيرٌ في شهرة هذه السوق، واستطاع تجار مكة أن يزيّدوا من جاذبية مدينتهم بسياسة التوازن التي انتهجوها. وقد أثمرت هذه السياسة ثمارها في مدة قصيرة، وحوّلت أشرف مكة إلى أثرياء يعيشون كما يعيش حُكّام فارس وبيزنطة. وكان هؤلاء الأثرياء يحرصون على الحفاظ على شبكة العلاقات الاقتصادية، وسعوا إلى حماية مناصبهم باستغلال عصبيتهم ومقدّساتهم. والعصبية روح الاتحاد والتعاون بين المنتسبين إلى دم واحد. وهي سلوك وصفه القرآن الكريم بـ"الحميّة الجاهلية"،



ليست الجاهلية فترةً ظلت في الماضي، بل هي عقلية تقوم على خيارات الإنسان، وأساسها المنفعة والمصلحة، وتستغل كل شيء للإنسان لا سيما المقدّسات. وهذا يعني أنه في الجاهلية كان المجتمع مجتمعاً يستغل فيه الإنسان الإنسانَ وينعدم العدل، وليس فيه إلا الحرص على المنافع. والدنيا التي تسود فيها المنافع الاقتصادية اليوم هي جاهلية حديثة.

وسيلة بينهم وبين الله وسيلةً لتجارتهم. وكانوا يرفعون بهذه الأصنام شأنهم بين القبائل الأخرى، ويزيدون من جاذبية مكة التجارية. فكانت التجارة بتحريف المقدّسات أو إحداث مقدّسات جديدة سياسةً جاهليةً. وكان للشعراء دورٌ عظيمٌ في الاستغلال الاقتصادي في الجاهلية. فكان الشاعر منهم ممثلاً للإعلام في هذا العصر ومتحدثاً باسم الأسياد مقابل منافع ينالها. وكان للشاعر أثر عظيم في النفوس، لأن إنسان الجاهلية كان مفتوناً بجمال الكلمات، وكانوا يعتقدون بأن الشاعر ليس كغيره من الناس وبأنه يعرف الغيب. وقد رأى راغب الأصفهاني بأن الجاهلية ليست "جهل النفس بالعلم" وحسب بل "الاعتقاد بنقيض الصواب في كل شأن" و"عمل نقيض ما يجب عمله". فكان الشاعر مُكلِّفاً بالإتيان بنقيض الصواب بحُلّة برّاقة، أي إنه كان خبيراً في "التضليل والتلاعب" بلغة عصرنا.

وكانت دعوة سيدنا محمد ﷺ تهديداً واضحاً لنظام الاستغلال الاقتصادي في الجاهلية، وكان أثرياء مكة أولَ من تنبّهوا لهذا الأمر، وأدركوا أن الإسلام الذي يساوي بين السيد والعبد ويحارب استغلال الإنسان المقدّسات سيقضي على سلطتهم، وستحل الأخوة محلّ العصبية، فلن يبقَ لهم شأن بين العرب، ولن يكون

لنظامهم التجاري أي أثر. وكان تعيين الله للمقدّسات يعني نهاية استغلال الإنسان والمقدّسات، فخبّت صوت الشعراء الذين كانوا يهيمون في كل واد ويقولون ما لا يفعلون، وصار كلما علا صوت القرآن الذي لا يساوره شك، أضاع سادة مكة فرصة السيطرة النفسية على غيرهم بأخبار لا أصل لها.

وليست الجاهلية فترةً ظلت في الماضي، بل هي عقلية تقوم على خيارات الإنسان، وأساسها المنفعة والمصلحة، وتستغل كل شيء للإنسان لا سيما المقدّسات. وهذا يعني أنه في الجاهلية كان المجتمع مجتمعاً يستغل فيه الإنسان الإنسانَ وينعدم العدل، وليس فيه إلا الحرص على المنافع. والدنيا التي تسود فيها المنافع الاقتصادية اليوم هي جاهلية حديثة. والجاهلية الحديثة معلولة بالعقلية نفسها مثل جاهلية مكة، فهي "الإيمان بنقيض الصواب" و"عمل نقيض ما يجب عمله". وكل شيء فيه موضوع للبيع والشراء، وكانت الجاهلية مصدر الظلم. وفي أساس الجاهلية الحديثة عصبية واستغلال كما كان في الجاهلية القديمة. فالعصبية الحديثة عصبية لوضع راهن أنشأه قلة من الأثرياء الجشعين الذين لا يؤمنون بالله ورسوله والكتاب، وهم لا يعترفون بدولة ولا نسب ولا أي قيمة، ولا يعبؤون بحرق الدنيا بأسرها من أجل الحفاظ على مناصبهم. وهذه الأقلية التي يملك واحد بالمئة من طبقتهم العليا ٣٨ بالمئة من ثروة العالم وخمسون بالمئة من الطبقة الدنيا فيهم ٢ بالمئة من الثروة ليس لها غاية ولا مقصد إلا الحفاظ على موقعها وامتيازاتها.

إن عصبية الجاهلية الحديثة اتفاق على الامتيازات، ودوام هذا الاتفاق منوط بالاستغلال الناتج عن تحريف الصواب والخير. ووسائل الإعلام لا سيما وسائل التواصل الاجتماعي هي وسيلة لهذا الاستغلال. والقلّة الجشعة اليوم يستمرون باستعمال الطرق نفسها من أجل دوام سلطتهم كما كان أثرياء مكة في الماضي لا يترددون في استغلال أي شيء من أجل مصالحهم. والترّهات الحديثة



إن السبيل للنجاة من
الجاهلية الحديثة واضح،
فكل من يريد النجاة فليس
له إلا اتباع سيدنا محمد عليه
الصلاة والسلام الذي هو
عنوان الحقيقة والنجاة.
فدعوته القائمة على العبودية
لله وحده ورؤية الناس
سواسية كأسنان المشط هي
الأساس الوحيد الذي ينجي
الإنسان من العبودية لغيره.

لدى الأقلية من الأغنياء، وهذه العصبية تُضِلُّ الغني،
فصار يرى مواساة الفقير ذلاً. ولما اجتمعت جرأة فعل
ما يريد والخوف من ضياع المنصب، ظهر ظالم لا يقل
ظلمه عن ظلم فرعون ونمرود. والعامل الأساسي
ليستمر منصب هذا الظالم رؤية الحياة قائمة على البحث
عن الرفاه والبعد عن القلق الاقتصادي وضياع المال.
ولا يمكن إراحة القلب والبال إلا بإنقاذ الإنسان من
هذه الرؤية.

إن الحل للسلامة من العقلية الاستغلالية التي تُرجع
كل شيء إلى الاقتصاد هو رؤية النبي ﷺ للحياة ومعاملته.
والسعي للعيش كما كان يعيش ليس السبيل لنجاتنا نحن
فقط، بل لنجاة الناس الذين يعانون بين أيدي المستغلين
في العصر الحديث. فإذا كنا نقول إننا من أمة محمد، فعلينا
أن نفهم موقف السنة من المال والملك والثراء، ونطبق
ما نفهم، ونُري ما نطبق بأيدينا وألسنتنا وأعيننا وأعمالنا،
ونجعل كل ذلك أسلوب حياتنا. ومهما كان موقعنا
ومنصبنا، أغنياء أم فقراء، رؤساء أم مرؤوسين، مدراء
أم عمال، علينا أن نتعظ بسيرة رسول الله ﷺ، ونحاسب
أنفسنا ونتساءل كم يوافق رسول الله المبعوث رحمة للعالمين
على أفعالنا وأعمالنا لو أنه يرانا. وينبغي ألا ننسى بأنه ﷺ
شاهدٌ علينا ونحن - أمته - شهداء على الناس أجمعين.

التي تُحسّر في الأذهان تجر أفراد المجتمع الذين يُنظر إليهم
كأنهم قطع من أجل "الإيمان بتقيض الصواب" و"عمل
نقيض ما يجب عمله".

إن السبيل للنجاة من الجاهلية الحديثة واضح، فكل
من يريد النجاة فليس له إلا اتباع سيدنا محمد ﷺ الذي هو
عنوان الحقيقة والنجاة. فدعوته القائمة على العبودية لله
وحده ورؤية الناس سواسية كأسنان المشط هي الأساس
الوحيد الذي ينجي الإنسان من العبودية لغيره. ودعاء
"اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة" في السراء والضراء هو
علاج الجاهلية الحديثة. وإنسان اليوم مُصاب بفيروس
المنافع والمصالح الاقتصادية. وصار هدفه بالعيش حياة
أرفه وأترف وأحسن كالقيد مضروباً على عنقه. فالدنيا
تحتاج إلى تغيير العقلية، ونحن لا نحتاج إلى الرفاه بل
إلى الفلاح. فالرفاه محدود بهذه الدنيا، وأما الفلاح فهو
النجاة الحقيقية التي فيها السعادة في الدارين.

وحسبنا فعل رسول الله ﷺ الذي رواه أحمد بن حنبل
في كتابه (الزهد) حلاً لمعضلة الجاهلية الحديثة: فبينما
رسول الله ﷺ يحدث أصحابه، إذ جاء رجل من الفقراء،
فجلس إلى جنب رجل من الأغنياء، فكأنه قبض من ثيابه
عنه، فتغير رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:

"أخشيت يا فلان أن يعدو غناك عليه، وأن يعدو
فقره عليك؟"

قال: يا رسول الله، وشرُّ الغنى؟

قال: "نعم، إن غناك يدعوك إلى النار، وإن فقره
يدعوه إلى الجنة"

فقال: فما ينجيني منه؟

قال: "تواسيه"

قال: إذن أفعل، فقال الآخر: لا إرب لي فيه.

قال: "فاستغفر، وادعُ لأخيك".

والغنى ليس ذنباً، بل إن الغنى مع الشكر بالإنفاق
وعمل الخير نعمة كما ذكر رسول الله ﷺ. ولكن الغنى
في الجاهلية الحديثة تحوّل إلى عصبية لحفظ المناصب

عنوان الفلاح

من أسباب ذهاب الطمأنينة من قلب المرء أن ينظر إلى مَنْ هو أعلى منه شأنًا من الناحية المادية بدلًا من النظر إلى مَنْ هو أدنى منه. والاعتماد على ما في اليد والتكاسل مرضٌ آخر. فمَنْ يعيش حياته من غير أن يضطرب وينسى عبوديته ويضيع شكره لربه ويقع في هيب الحسد والطمع، يكون قد نال كنز القناعة التي هي وسيلة عظيمة للفلاح.



ولا نستطيع في هذه المقالة أن نشرح جميع معاني الفلاح ونتطرق إلى جميع السبل التي تؤدي إليه. وقد ذكرَ الكتاب والسُّنة أعمالًا وسبلاً كثيرة تؤدي إلى الفلاح. ولا يسعنا هنا إلا محاولة فهم حديث شريف يبيِّن لنا فيه رسول الله الحريص علينا والرؤوف الرحيم بالمؤمنين عنوانًا يوصلنا إلى الفلاح. يقول رسول الله ﷺ: "قد أفلح مَنْ أسلم، ورزقَ كفافًا، وقنَّه الله بما آتاه" [مسلم، الزكاة، ١٢٥]

إن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان بالثقة بالله والتسليم له. وأعمالنا تسير على قدر اليقين في إيماننا. والفسق والفجور والأخطاء التي تظهر في أعمالنا وسلوكنا ومعاملاتنا مصدرها الضعف في إيماننا. فالمعنى الذي تشير إليه كلمة "الإسلام" وكلمة "الإيمان" معنى واحد من هذه الناحية. فالإنسان الذي يؤمن إيمانًا

إن كلمة "الفلاح" التي وردت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تُعد من الكلمات التي لها معانٍ ودلالات إيجابية كثيرة. ومن معانيها "نجاة الإنسان مما يخاف منه ونيله ما يتمنى". وذكر المترجم عاصم أفندي إيضاحًا لمعنى كلمة الفلاح أثناء ترجمتها إلى اللغة التركية، فقال:

"الفلاح هو الفوز والظفر بالشيء والنجاة من المهالك وبلوغ السلامة. وهو البقاء دائمًا في رفاه وراحة وخير ونعمة. والفلاح في الدنيا بلوغ الغنى والعزة والقدرة التي هي وسائل بلوغ السعادة. وأما المقصود من الفلاح في الآخرة فهو بلوغ نعمة البقاء الذي ليس فيه فناء، ونيل الغنى الذي لا يصيبه فقر أو حاجة أبدًا، والعزة التي ليس فيها شيء من الذلة، وزوال أنواع الجهل ونيل كمال العلم والمعرفة".



تأمًا بوجود الله تعالى ووحدانيته وعظمته وعلمه وملكه ورحمته وربوبيته التي تشمل العالمين، يكون في تسليم تام له تعالى ولكل شيء يأتي منه. فالخطوة الأولى للفلاح هي التسليم القائم على مثل هذا الإيمان. ومثل هذا التسليم يمنح الإنسان طمأنينة تامة. والإنسان الذي يملأ قلبه بمثل هذا الإيمان يكون قد وضع الأساس السليم للسعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة.

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى أمرين يُبينان على هذا الأساس السليم من أجل ضمان الفلاح وهما: رزقٌ يكفُ صاحبه عن حاجة غيره، وقناعةٌ بما قسمه الله.

فالرزق بإمكانات تكفي حاجة المرء بشرط أن يكون من الحلال عنصر مهم للفلاح. لكن المهم في هذا الموضوع ماذا يحتاج المرء وماذا لا يحتاج، ذلك أن الرغبات لا حدود لها، وكلُّ رغبة قد تكون حاجة. لذلك لا يجد الفلاح مَنْ يطلب الترف الذي تطلبه النفس. ووراء كل نعمة نعم أخرى، ولكن يكفي أن يكون للمرء الأمور الضرورية التي لا تجعله فقداها يلجأ إلى غيره ويكون في عسر، ويمكننا أن نقول عن هذا الحد "مقياس الكفاية في الرزق". فهذا هو إطار "الكفاية في الرزق" التي عدّها رسول الله ﷺ من وسائل الفلاح.

إن الذين لا يجدون رزقًا يكفيهم يشعرون بألم في نفوسهم لأنهم يحتاجون غيرهم من أجل تلبية حاجاتهم. والله تعالى قد بين في كتابه العزيز بأنه تكفل برزق جميع المخلوقات وأمر بطلب الرزق في البر والبحر. فمن كان مُبتلى بعلّة الكسل لإساءة فهمهم للتوكل سيكون من العسير عليه أن يصل إلى الفلاح. وأما الذي يؤدي ما عليه ولكنه يبقى في حاجة غيره فلا يضره أن ينتفع من إنفاق غيره وإحسانه. والمقياس هنا الحفاظ على العفة بعد الكفاية وتجنب حسد الآخرين.

إن الله تعالى يزرق عبادًا رزقًا واسعًا ويرزق عبادًا رزقًا محدودًا في امتحان الدنيا. فمن ينال رزقًا أكثر من كفايته، يكون له حالان: يطغى فيفضل أو يغبطه

الناس. فالذي يجعل ما يزيد عن حاجته بضاعةً له للآخرة يغبطه الناس، ولكن الكثير من الناس يخضعون لأهواء أنفسهم فيجرون إلى السفالة والندامة في الآخرة بالعيش حياة ترف وإسراف في الدنيا. إن نيل زرق كاف خير من نيل زيادة على الكفاية لكثير من الناس. ولا شك أن العطاء مهم، ولكن مَنْ يعيش وثيقته نيل رزق كبير من أجل أن يعطي ويتصدق عليه ألا ينسى أنه مُعرّض لآفة البخل وحب المال. وحديث رسول الله ﷺ: "نعمًا بالمال الصالح للرجل الصالح" يشير إلى ضرورة زيادة صلاح المرء مع زيادة ماله، وإلا كانت الزيادة على الكفاية فتنةً للمرء.

وأما القناعة التي هي الشرط الثالث للفلاح فهي قناعة القلب، هي أن يعيش المرء حياته بلا طمع ولا جشع، بل في شكر على ما بين يديه، هي الطمأنينة بما في اليد لا الكفاية بما في اليد. ولا شك أنه ينبغي للمرء أن يسعى ويطلب، ولكن تحسر المرء على ما لم يستطع نيله يُبعده عن الفلاح. فمن أسباب ذهاب الطمأنينة من قلب المرء أن ينظر إلى مَنْ هو أعلى منه شأنًا من الناحية المادية بدلًا من النظر إلى مَنْ هو أدنى منه. والاعتماد على ما في اليد والتكاسل مرضٌ آخر. فمن يعيش حياته من غير أن يضطرب وينسى عبوديته ويضيع شكره لربه ويقع في لهيب الحسد والطمع، يكون قد نال كنز القناعة التي هي وسيلة عظيمة للفلاح. والعسير في هذا الشأن تحديد الأشياء التي هي حاجة والأشياء التي هي ليست بحاجة. وقول الله تعالى: (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ) دليلٌ واضحٌ على ما يضيع الإنسان من خير عظيم بشجعه وحرصه على أن ينال أكثر. عن مطرف، عن أبيه، قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ)، قال: "يقول ابن آدم: مالي، مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟"

[مسلم، الزهد، ٣-٤. انظر أيضًا: الترمذي، الزهد ٣١، تفسير (١٠٢) ١]



اطلب منه تعالى رزق

لا من هذا ولا من ذاك

د. سليمان درين

كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له". [مسلم، الزهد، ٦٤]

ولا شك أنه على الحكّام والمسؤولين والعاملين في البلديات والمؤسسات والميسورين أن يفعلوا ما يستطيعون لإخراج المسلمين من عسرهم، ولا يستطيعون أن يهربوا من مسؤولياتهم بقولهم: "هذا قدرهم وهذا امتحانهم، فماذا نفعل؟" ونحن في هذه المقالة لن نتحدث عن واجبات هؤلاء، بل عن واجبات المسلمين في أوقات الضيق والعسرة والشدة. إن المسلم يعيش في اقتصاد حتى في أوقات يسره وراحته لأنه يرى أن هذه الدنيا ليست غايته ومطلوبه، فهو يعيش في وسطية، ويتعد عن الترف والإسراف، ومهما كان في يسر، لا ينسى قول رسول الله ﷺ: "ما عال من اقتصد". [أحمد، مسند، ١، ٤٤٧]

ويعرف الصوفية كيف يحولون ما يكونون عليه من أحوال لصالحهم، ويبدلون جهدًا للخلاص من المرض

إن القرآن الكريم كتابنا العظيم والسنة النبوية تطبيق للقرآن في الحياة، وفي الكتاب والسنة حل لكل مشكلة وعلاج لكل معضلة تصيبنا إلى قيام الساعة. فإذا طبّقنا الكتاب والسنة، وجدنا الحل لكل مشكلاتنا المادية منها والمعنوية، والاجتماعية والأسرية، وإلا كانت المشكلات والهموم في كل صفحة نعيشها من صفحات الحياة. يذكرنا القرآن الكريم أولاً بأننا جئنا إلى الدنيا امتحانًا لنا، ويبيّن لنا بأن الدنيا ليست مكانًا للراحة وإنما الراحة في الآخرة. يقول الله تعالى:

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) [البقرة، ١٥٥]

فتشير هذه الآية إلى أن الصبر على الضراء يوصلنا إلى مرضاة الله تعالى وبأن الحياة لا تكون بلا امتحان. والسرّاء والضراء كلاهما رحمةٌ للمؤمن، فهو ينفق في السرّاء ويشكر ربه، ويصبر في الضراء ولا يشكو. وقد بيّن رسول الله ﷺ هذه التجارة الرباحة بقوله: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

"الدنيا سوق المؤمنين، والليل والنهار

بضاعتهم، والعمل الصالح سلعتهم،

والجنة ربحهم والنار خسارتهم".

والفقر والبلاء، ولكنهم لا يشكون. والقصة التالية مثال جميل لأحوالهم: غضب سلطان على ولي من أولياء الله، فأمر جنده بأن يسجنوه، فانطلق الجند إلى بيت الولي، وقال قائدهم له: "لا تؤاخذنا يا شيخ، ولكن السلطان قد أمرنا بأن نسجنك". فقال الولي في رضا وتوكل: "جزى الله سلطاناً خيراً، فأنا أردت أن أكون في خلوة مع الله منذ حين، ولكنني ما استطعت لكثرة الزوّار والمريدين، فأكرمني السلطان بهذا الأمر العظيم"، ثم جمع أشياءه وانطلق مع الجند. فعلم السلطان بقول الولي فقال لجنده في عجز: "أردنا أن نعاقب هذا الشيخ، ففرح بعاقبنا. إننا لا نستطيع أن نعاقب أمثاله، فاتركوه".

والصوفي يعرف كيف ينتفع من كل مصيبة تصيبه، فإذا وقع في السجن حوّل السجن إلى مدرسة يوسفية، وإذا كان في ضيق، توجه إلى الله بقلب مخلص. وقد افتري على الولي الصوفي ابن عجيبة فدخل السجن، فذكره حاله في السجن قائلاً: "بقينا في السجن ثلاثة أيام، والله ما رأيتنا أياماً كانت أطيب من تلك الأيام. انقلب السجن زاويةً وصار كله يذكر الله. وانفتح باب السجن للداخل والخارج، وانبسط أهل السجن وزال غمهم ما دمنا معهم. ولقد لقّنتُ الورد في السجن لبعض المسجونين خمسة أو أربعة".

لقد تجاوزنا حدود المباح بالرخاء الذي نعيش فيه، وبدأنا ننفق حتى صار إنفاقنا أقرب إلى الإسراف، على أن الطرق الصوفية كلها توصي بالعيش البسيط وتقليل المباح. وقد ذكر الإمام الرباني السرهندي هذا الأمر في قوله: "يا بني، أساس المسألة تجنب المبالغة في المباح والاكتفاء على قدر الضرورة. وعلينا أن نفعل ذلك بنية نيل القوة من أجل أداء عבודيتنا. فالغاية من الأكل مثلاً نيل القوة من أجل طاعة الله، والمقصود من اللباس ستر العورة والوقاية من البرد والحر. وكذلك علينا أن نرى المباحات الأخرى. لقد اختار أهل النقشبندية العمل بالعزيمة، وتجنب الرخص ما أمكن. والاكتفاء بقدر الضرورة عزيمة. وإذا كان من العسير الوصول إلى ذلك،

فلا بد من تجنب تجاوز دائرة المباح، والبعد عن المشبه والحرام". [المكتوبات، المکتوب ٧٣]

ورأى مولانا جلال الدين الرومي أن الزيادة في القدرة المادية لا يجلب الخير، وأن الأمراض تصيب الغافلين في وقت الرخاء، فقد قال:

"لولا الجوع، لأصابتك التخمة، ثم أصابتك مئآت من الأمراض. ولا شك أن علة الجوع خير من تلك الأمراض، فهي تجعلك أخف وألطف وأقرب إلى التوسل إلى الله وعبادته". [المثنوي، ٢٨٢٧-٢٨٣٠]

إن علاقة الصوفية بالحياة علاقة تثير الحيرة حقاً، فهم لا يسرفون حتى إن كانوا في أشد أوقاتهم رخاءً، ويرون أنفسهم مؤتمنين في الحياة. وهم يقولون: "تكفينا اللقمة والخرقة، فما العيش إلا عيش الآخرة"، ولا يستطيعون تحمل قهر هذه الدنيا. وخير مثال لترك الصوفية هموم الدنيا إبراهيم بن أدهم الذي ترك الملك وزهد في حياته. وأمثالهم ليسوا في صفحات التاريخ فقط، ففي العهد القريب لم يرض الشيخ محمود سامي رمضان أوغلو رحمه الله ميراث أبيه الذي كان ثرياً، بل زهد في الحياة وعمل محاسباً كي يكسب قوت يومه. وكذلك الشيخ موسى طوباش رحمه الله كان أسوة للعيش باقتصاد في حياة الشراء. وكان كريماً سخياً، ويراعي الاقتصاد في حياته الأسرية، حتى إنه كان لا يسرف في استعمال منديل، فيقسم المنديل ويعطيه لمن بجانبه.

نسأل الله تعالى أن يفتح عيون قلوبنا لندرك أن الفقر ليس الفقر المادي بل الفقر المعنوي، ويوفّقنا لعيش أيام أفضل مادياً ومعنوياً من هذه الأيام التي نعيش فيها في ضيق. وأودّ ختاماً أن أنهي مقالتي بوصايا مولانا جلال الدين الرومي إذ يقول:

"ابحث عن رزقك منه تعالى، لا من زيد وعمر. واطلب الغنى منه تعالى لا من كنز ولا من مال ومُلك. واقصد العون منه تعالى لا من عمك وخالك. وكن واعياً كي تعلم من تدعو ومن تطلب المدد! والآن ادعُ، واركُ ما سواه، حتى تكون وارثاً للملكه..." [المثنوي، ١٤٩٥-٩٩]

مسؤولية أغنياء المسلمين في أيام الضيق

علينا ألا ننسى أن العطاء والبذل الكثير فضيلة، وهدفنا الأصلي الإيثار، أي تقديم المجتمع والآخرين على النفس عند الحاجة، أي سعي الإنسان لقضاء حاجة غيره وهو محتاج. والطريقة الوحيدة لقضاء حوائجنا هي بذلنا جهداً لقضاء حوائج الآخرين.



وليس الغنى دليلاً على شأن الإنسان عند ربه ورضاه عنه ولا على قيمته بين الناس، وليس الفقر دليلاً على غضب الله عليه ولا درجة غبائه.

إن الله يمتحن الإنسان بالخير والشر، وبالعطاء والبلاء، فيوجه الإنسان ما يصيبه بإرادته. ولم يعط الله المال للإنسان كي يسرف ويطغى أو يقترب ويبخل، ولم يمنعه عنه كي يتسول ويعيش متطفلاً على غيره.

إن عاقبة الإنسان عند ربه في كل الأحوال تكون وفقاً لمعاملته غيره، فالله تعالى يقول: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى.

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى. وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) [الليل، ٥-١١]

والغنى والفقر مفهومان أساء الناس فهمهما منذ القديم، فالله تعالى يقول:

(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ. كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ

الْيَتِيمَ) [الفجر، ١٥-١٧]

إن ما يأمرنا به الله تعالى سواء أكنّا أغنياء أم فقراء أن نعتقد بأننا سنحاسب أمامه على أعمالنا فنال الثواب أو الجزاء عليها،

يقول الله سبحانه وتعالى:
(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)

[المعارج، ٢٤-٢٥]

إن في الإسلام الذي فيه حلول لمشكلات الحياة حلٌّ لمشكلة الفقر. والغنى ليس أن يملك الإنسان ثروة، ولا الفقر أن لا يملك شيئاً، فالغنى غنى القلب، والطمأنينة طمأنينة النفس، والجمال جمال الشخصية. وقد أخبرنا الله تعالى بأن درجة الإنسان في الآخرة وشأنه لدى الله ليس بما جمع من مال ولا ما ملك من أولاد، بل على قدر أعماله الصالحة في الدنيا.



وأن نقيم مجتمعًا نتعاون فيه ونتكاتف. لذلك يغتني
الفقير بقناعته وإيمانه، ويفتقر الغني ببخله وجحوده.
إن ما نملك بين أيدينا امتحانٌ لنا لأن المالك
الحقيقي إنما هو الله رب العالمين. وفي مال الغني
حقٌ للفقير، وهذا الحق بيّنه كتابنا العزيز. وهذا الحق
هو الزكاة في الأحوال العادية، وهو أيضًا الإنفاق في
أوقات العسر والضيق. وقد بيّنت الآية التي افتتحنا
بها هذه المقالة بأن المال الذي بين يدي الإنسان ليس
له فقط، بل لأفراد المجتمع أيضًا حقٌ فيه. وبيّنت
الآية الخامسة من سورة النساء أن المال وسيلة لقيام
المجتمع، وأن لأفراد المجتمع حقًا فيه وإن كان في يد
جماعة منهم.

كان سيدنا أبو بكر الصديق على رأس الصحابة
الكرام الذين استطاعوا تحويل ثروتهم إلى بضاعة
للآخرة، فهو بإنفاقه ماله كله في سبيل الله ورسوله
صار أعظم مستثمر في تاريخ البشر. ولمّا سُئل عمّا
ترك لأهله وعياله، قال: تركتُ لهم الله ورسوله، فبيّن
لنا أن الغنى الحقيقي إنما هو الإيمان.
ومن الصحابة الكرام الذين يُقتدَى بهم سيدنا
عثمان رضي الله عنه. وقد أصاب قحطٌ شديدٌ المدينة في خلافة
سيدنا عمر رضي الله عنه، وجاءت قافلة لسيدنا عثمان آنذاك
محمّلةً بالبضائع من الشام، فتوافد التجّار إلى سيدنا
عثمان يطلبون شراء بضاعته، فمنهم من أعطاه ربحًا
بنسبة ٥ ٪، ومنهم من زاد حتى وصل إلى ١٠ ٪ و ٣٠ ٪.

إننا نعيش في عصر صارت فيه الإمكانيات المادية في القمة، ولكن الأرواح مريضة، والقلوب
جائعة! والبشرية اليوم في أسوأ أحوالها بسبب الجوع المعنوي! ولكننا إذا نظرنا إلى عصر رسول
الله، فلا نجد ضيقًا معنويًا على قلة الإمكانيات المادية، لأن الناس آنذاك وصلوا إلى الطمأنينة
والسعادة الحقيقية وأدركوا أن العيش عيش الآخرة.

و ٥٠ ٪، ولكنه رفض عروضهم كلها لأن لديه عرضًا
أعلى. ثم بيّن لهم بأن الله يعطي على الواحد ٧٠٠،
فكيف يقنع بنسبة ٥ ٪ أو ١٠ ٪، ثم وزّع بضاعته كلها
على فقراء المسلمين في المدينة.
وثمة في زماننا أناس أسخياء طيبون يؤمنون
بالآخرة ويُحيون هذه الفضيلة العظيمة والحمد لله.
والجميع يسعون لعمل ما يستطيعون، ويجاهدون في
هذا التكافل الاجتماعي بأموالهم وأنفسهم. وعلينا ألا
ننسى أن العطاء والبذل الكثير فضيلة، وهدفنا الأصلي
الإيثار، أي تقديم المجتمع والآخرين على النفس عند
الحاجة، أي سعي الإنسان لقضاء حاجة غيره وهو
محتاج. والطريقة الوحيدة لقضاء حوائجنا هي بذلنا
جهدًا لقضاء حوائج الآخرين، فقد بيّن لنا رسول الله
ﷺ هذه الحقيقة بوضوح إذ قال: "والله في عون العبد
ما كان العبد في عون أخيه" [أحمد بن حنبل، ٢، ٢٥٢]

وهذا كلّ دليل على أن كلّ ميسور في المجتمع
مسؤول عن الفقراء والمحتاجين والمساكين. كل
واحد مسؤول وفقًا لما أكرمه الله تعالى به. فإذا كان
جائع في المجتمع، فهذا من عدم تحمل الأغنياء
مسؤولياتهم. ولا ريب أن الله تعالى قد حمّل الأغنياء
معيشة الفقراء. وإذا كان في المجتمع فقير، فسبب
ذلك الأغنياء الذين لا يتحملون مسؤولياتهم ويأكلون
حق الفقير. ولا شك أن الله مُحاسبهم يوم الدين.
إن ثواب الإنفاق في العسر لا يكون كثواب الإنفاق
في اليسر. فعون الفقراء والمحتاجين والمساكين
والعاجزين في القحط والجفاف والكوارث الأخرى
بضاعة عظيمة للآخرة لا تُقاس بعونهم في سائر
الأوقات. والغنى وصحة الجسم وسيلتان للاستثمار
في الآخرة. فالإنسان إذا أفق ما يملكه من أجل الله،
فله الربح الكبير والفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

الحماسة للعطاء قبل السرور بالأخذ

لا يكفي تطبيق مبدأ "مالي مالي، ومالك مالك" في عالم يفتك الشجع به، بل لا بد من التحفيز على مبدأ: "مالك مالك، ومالي مالي". وأساس المشكلة هنا منطق الرأسمالية الوحشية التي تقول: "مالي مالي، ومالك مالي". وأما حقيقة الأمر فهو: لا مالي مالي، ولا مالك مالك، بل كل شيء لله". وهذه أوضح الحقائق. فإذا تحركنا على ضوء هذه الحقيقة، حلت القناعة محل الجشع، والسلام محل العداوة، والتنافس على العطاء محل التنافس على الأخذ. فلنجرب معاً هذه الطريقة، ولنجعل لذة العطاء أولى من لذة الأخذ.



أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً

[لقمان، ٢٠]

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ

[إبراهيم، ٣٤]

إن أمر الله تعالى لنا بالعبادة والشكر ليس لحاجته لنا، بل لرغبته في امتحاننا. ففائدة العبادات المالية والبدنية التي نؤديها تعود لنا في نهاية المطاف. فنحن نعطي الزكاة للعباد الفقراء، ونأكل من لحم الأضاحي

أكثر أسماء الله الحسنى تدل على الكرم والسخاء، الرحمن، والرحيم، واللطيف، والوهَّاب، والكريم، والرؤوف، والباسط، والرزَّاق، والمعطي، والصمد، والنافع، وغيرها.

لا حاجة لله تعالى للأخذ، وكل مخلوق له محتاج وهو لا يحتاج مخلوقاً، وهذا ما نفهمه من اسمه الصمد. يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ) [فاطر، ١٥]





التي نضحها. والله مستغن، فلو أن أهل الأرض كلهم آمنوا به، لما نفعه إيمانهم شيئاً، ولو أنهم أنكروا وعصوا، لما ضره إنكارهم وعصيانهم شيئاً. ومن آثار رحمته أنه يكرم جميع الناس مؤمنهم وكافرهم بتجليات اسمه الرزاق.

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) [هود، ٦]

إننا حينما نعطي، نحول الفاني الذي يكون بين أيدينا إلى باق. والذي نعطيه لغيرنا الآن استثمار لنا كي نأخذ أضعافه في المستقبل. ونحن في الدنيا نستثمر من أجل الغد. ونتخذ التدابير. وليس من المعقول أن لا نستثمر من أجل حياتنا الأبدية.

ويليق الكرم والسخاء بعباد الله الكريم السخي. وواجب العبد أن يسعى ليكون محل تجليات الأسماء

إن الصحابة الكرام الذين تربوا في مدرسة النبي ﷺ كانوا يجدلون اللذة في العطاء أكثر من الأخذ، وخير مثال على حالهم هذه الأخوة بين المهاجرين والأنصار. إذ لقي الأنصار المهاجرين الذين تركوا كل ما يملكون في مكة وهاجروا إلى المدينة من أجل إيمانهم، فأوهم وأعانوهم وأطعموهم وقاسموهم أموالهم وبيوتهم، فكانت هذه المؤاخاة من أجمل الأمثلة في تاريخ البشر. وقال الله تعالى عنهم:

الحسنى على قدر طاقته. والله تعالى يعطي بلا مقابل، ونحن وإن كنا نعطي من أجل نيل رضاه فإننا ننال منه أضعاف ما نعطي، ويعطينا وإن لم نطلب منه.

والواقع أن لذة العطاء أفضل من لذة الأخذ بأضعاف مضاعفة. فعندما نعطي تحدث لذة عميقة في نفوسنا، وتزيد فرحة الأخذ من فرحتنا، وننال محبته ويدعو الله لنا. والكرام الأسخياء يحبهم الله وعباده وإن كانت لهم أخطاء وهفوات.

(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر، ٩]

والمشهورون بكرمهم بين الناس كثيرون، منهم سيدنا إبراهيم، وسيدنا محمد، وسيدنا أبو بكر، وسيدنا عثمان، وحاتم الطائي... ولم يرد سيدنا محمد ﷺ أحداً جاءه، وإن لم يكن لديه شيء، وجد من يقدر على العطاء ليعطي سائله.

الإنفاق عطاء بلا مقابل، والربا أخذ بلا مقابل. والصدقة سبب للبركة، والمحرمات مثل الربا والقمار والرشوة تفسد الفرد والمجتمع، وتميت مشاعر الإنسان. ومن علامات المسلم الصالح أن يقضي حاجة غيره، ويعين المكروب، ويشبع الجائع، ويؤي المشرد، ويضحك الباكي.

إن الكرم والحث على الخير من صفات المؤمنين، وأما البخل فليست صفتهم. قال رسول الله ﷺ:

"خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق". [الترمذي، البر، ٤١].

إن الله المالك الحقيقي لما نملك، وهو مالك السماوات والأرض. ونحن في هذه الدنيا لا نملك

وقد عرّف الله ﷻ المنكر بقوله:
(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكْذِبُ بِالْدينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ. وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) [الماعون، ١-٣]

شيئاً، بل نحن شهداء مؤتمنون. وإذا كنا نحرص على حفظ الأمانة، فعلياً أن نحفظ ما نملكه في هذه الدنيا. ولا نمّن حين نعطي، ولا نسيء إلى من نعطي، كي لا نفسد إنفاقنا. والمعطي في الأصل يشكر الآخذ. ولو لم يكن آخذ بيننا، فكيف نثبت كرمنا وسخاءنا؟ وكيف ننال الثواب في الآخرة؟ علينا أن نرى ما نفقه بضاعة نستودعها في الآخرة.

(وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا) [المزمل، ٢٠]

فنحن نعطي جزءاً مما وهبه المولى لنا مجاناً لعباده ومخلوقاته طوعاً. فممن يمنع البخلاء الأموال؟ وهل الأموال أموالهم؟ ومهما كان كسبنا، فالله هو الذي يعطينا فرصة الكسب وظروفه والقدرة عليه. يأتي الإنسان إلى هذه الدنيا عارياً، فيجد كل شيئاً جاهزاً له حتى الحليب في ثدي أمه. علينا أن نرى أنفسنا عبيداً في ملك الله. والأرض ملك مؤقت. فنحن نتبادل ملكه ثم نعود إلى الله كي يحاسبنا. وإذا لم ير الإنسان نفسه في

الدنيا عابر سبيل وضيع ومؤتمن، فسيصعب عليه الخروج منها. وإذا نسي الضيف المدعو إلى القصر بأنه ضيف، يعسر عليه مغادرته. ليس شيء في هذه الحياة باق. وكما قال المعري: "عش الحمامة في هذا العالم ينهدم وكذلك قصر الملك".

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً) [الكهف، ٤٦]

إننا حينما نعطي، نحول الفاني الذي يكون بين أيدينا إلى باق. والذي نعطيه لغيرنا الآن استثمار لنا كي نأخذ أضعافه في المستقبل. ونحن في الدنيا

نستثمر من أجل الغد. ونتخذ التدابير. وليس من المعقول أن لا نستثمر من أجل حياتنا الأبدية.

إن الإنسان بخيل من حيث فطرته، وهو يحب المال كثيراً. وحب المال طبيعي، ولكن البخل غير طبيعي. ولولا حب المال والرغبة في الكسب، لما كان التطور. والرغبة بالكسب من أجل إعمار الأرض والعيش عيشة أفضل قوة دافعة، وإلا لما وُضع حجر فوق حجر. ولكن الفطري ألا تكون هذه الرغبة آلة للأنانية فقط، بل يجب توجيهها للمشاركة وإقامة عيشة مطمئنة مشتركة، لأن الأنانية عائق أمام العيش المشترك وإنشاء جو الصداقة. والمشاركة والتعاون والتحرك معاً كلها تدعم الأخوة، وتخفف من أعباء الحياة.



ماذا يفيد عالمنا الطمع والجشع وانعدام العدالة في الثروة إلا العداوة والهدم؟ إن بطن المسروق لم يشبع وكذلك عين السارق. وبدلاً من أن يسرق الإنسان أو يُسرق عليه أن يشبع ويُشبع. أيهما خير؟ أن يكون الطرفان جائعان؟ أم أن يشبع الجميع في جو من الكسب القائم على العدل والإنصاف والرحمة؟

ولا يكفي تطبيق مبدأ "مالي مالي، ومالك مالك" في عالم يفتك الشجع به، بل لا بد من التحفيز على مبدأ: "مالك مالك، ومالي مالي". وأساس المشكلة هنا منطق الرأسمالية الوحشية التي تقول: "مالي مالي، ومالك مالي". وأما حقيقة الأمر فهو: لا مالي مالي، ولا مالك مالك، بل كل شيء لله". وهذه أوضح الحقائق. فإذا تحركنا على ضوء هذه الحقيقة، حلت القناعة محل الجشع، والسلام محل العداوة، والتنافس على العطاء محل التنافس على الآخذ. فلنجرّب معاً هذه الطريقة، ولنجعل لذة العطاء أولى من لذة الآخذ.



هل نهتمم بالإصلاح

أسياد العالم اليوم هم رعاة شبكة الفساد العالمي في الوقت نفسه. لذلك يحمل نمط الحياة المعولم خباثته ونجاسته وضلاله معه. وهذا هو السبب الذي ينتشر فيه كل موقف مخالف للحق والحقيقة في أرجال العالم.

﴿محمد لطفي أرسلان﴾

بحرية، بل للأشياء التي تكون للدول القوية فقط، وعلى رأس هذه الأشياء المنتجات الاقتصادية لهذه الدولة. فالعولمة المقصودة اليوم ضمان استهلاك منتجات أسياد الأرض في كل نقطة من العالم بالحماسة نفسها. لذلك فإن العولمة إجبار يهدف إلى جعل آراء الدول القوية ونمط حياتها المسيطرة على كل نقطة في العالم. وأسياد العالم اليوم هم رعاة شبكة الفساد العالمي في الوقت نفسه. لذلك يحمل نمط الحياة المعولم خباثته ونجاسته وضلاله معه. وهذا هو السبب الذي ينتشر فيه كل موقف مخالف للحق والحقيقة في أرجال العالم. وكل عصيان أو جريمة أو معصية في أي نقطة من العالم ينتشر اليوم انتشار النار في الهشيم، ويُسوق له كي يكون في كل مكان. ومثال لذلك عيد الهالوين الذي يُعد عيداً

سُئل جُحا: "أين مركز الأرض؟" فقال: "النقطة التي يدوس عليها قدم حماري" فلم يُصدقه جماعة وقالوا له: "وكيف عرفت؟" فقال مبتسماً: "إذا لم تكونوا مصدقي، فتعالوا قيسوا..." فقام الذين لم يصدقوه، وأدركوا بأن جحا على حق، ووجدوا أن كل نقطة مركز كرة.

إن العولمة التي نعيشها اليوم مثل واقعة تستند إلى ما اكتشفه جحا، أي إن كل نقطة مركز الكرة. والعولمة تعرّف كل فكرة وعقلية في أي نقطة في الأرض على أنها صحيحة في كل نقطة من الأرض.

والعولمة وإن عُرِّفت على أنها حرية التغير والتنقل لكل شيء لا سيما المنتجات الاقتصادية بزوال الحدود، إلا أنها ليست إلا خداعاً مثل غيرها من المصطلحات الرنانة في العصر الحالي. ولا يُراد لكل شيء أن يتنقل

وثنيًا، وقد ظهر أولاً في إنكلترا ثم انتشر في الولايات المتحدة الأمريكية، وتحول إلى مصيبة نتج عنها موت ١٥٦ شخص في كوريا الجنوبية.

وشبكة الفساد التي تدعمها أسياذ العولمة هي كالمقاول الذي يسعى لجعل الاستهلاك غاية، ويجعل نمط حياة يعادي أصل الإنسان وجوهره. ولنمط الحياة هذا الذي يجعل السرور واللذة أساسًا له لديه رائدون، وهؤلاء أكثرهم من المشاهير الضلال في عالم الثقافة والفن. وهؤلاء الذين يُسَوَّق لهم في وسائل التواصل الاجتماعي لا يكتفون بالإضلال، بل يستحقرون مَنْ يحاول الإصلاح، ويسعون لنزع الاحترام لهم في نفوس الناس بدعايتهم الهدامة. فيتكبرون على الذي يحبون الخير، ويشتمونهم بأسوء الشتائم. ويفسدون بين الناس تحت اسم الحرية، ومع ذلك يدعون أنهم مصلحون، تمامًا كما قال الله تعالى:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) [البقرة، ١١]

إن مقاولي شبكة الفساد هم شركاء في العقلية التي ترى قطرة النفط أغلى من قطرة الدم. هم المنكرون الذين تجرؤوا على إجراء أبحاث من أجل استنساخ الإنسان، والأطباء الذين لم يترددوا في اللعب بأرواح ملايين من الناس من أجل المال في مرحلة تصنيع اللقاحات في الوباء العالمي... وأهم أهدافهم عدم الاعتراف بالله وكتابه وأحكامه، والعيش في نمط حياة مناقض لفطرة الإنسان. وشبكة الفساد تعمل ليل نهار بلا توقف ولا

استراحة، وتبذل جهدًا لجعل الشذوذ وانعدام الأخلاق أمرًا طبيعيًا. ولا شيء غريب في ذلك في حد ذاته، لأنهم يعملون ما تقتضيه طبيعتهم وفق القانون الإلهي. والذي يجب أن يُرى غريبًا ما يفعله المهتمون بالإصلاح وما يعملونه وما ينشغلون به.

على المؤمن الذي يعيش إيمانه بمحبة أن يكون له هم في الإصلاح. فهم الإصلاح حالة جيدة تفرض على صاحبها أن يكون مصلحًا. والمصلح يقف في وجه الذين يحاولون الفساد على الأرض، ويسعى من أجل الإصلاح على قدر سعي المفسدين من أجل الفساد على الأقل.

(فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ. وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) [هود، ١١٦-١١٧]

فالآية الكريمة تسمي مَنْ يشغل بإصلاح المجتمع "مصلحًا". ويُعرّف الصالح على أنه حسن المعاملة من حيث الدين والأخلاق. وأما المصلح فهو حسن المعاملة من حيث الدين والأخلاق ويحاول نشر حسن المعاملة بين الناس على قدر طاقته. وقد جعل الله تعالى رعاية أموال اليتيم وتحسين أحوالهم نوعًا من الإصلاح، وبَيَّن أنه هو وحده يعلم مَنْ المصلح وَمَنْ المفسد في الذين يبذلون جهدًا في هذا الأمر. فالانشغال بالإصلاح يعني مواجهة الدنيا بخير الأعمال والأحوال الدائمة، وهذا خيار يقتضي مواجهة الصعوبات في هذا الشأن.

فالجميع يحب فاعل الخير ولكن لا يحبون مَنْ يسعى للإصلاح ويحذر غيره قائلًا مثلًا: "وأنت كنّ صالحًا، وابتعد عن السيئات والسوء". والغاية الأساسية لشبكة الفساد تحقير المصلحين الذين يحاولون زرع الصلاح وتحذير الآخرين. إن الصلاح وسيلة للنجاة، وأما الإصلاح فوسيلة لإنقاذ الآخرين أيضًا. ولا يخفى

على المؤمن الذي يعيش إيمانه بمحبة أن يكون له هم في الإصلاح. فهم الإصلاح حالة جيدة تفرض على صاحبها أن يكون مصلحًا. والمصلح يقف في وجه الذين يحاولون الفساد على الأرض، ويسعى من أجل الإصلاح على قدر سعي المفسدين من أجل الفساد على الأقل.



إن الإصلاح وسيلة للنجاة،
وأما الإصلاح فوسيلة لإنقاذ
الآخرين أيضًا. ولا يخفى على
أحد أن الإصلاح حقيقة جاء
بها سيدنا محمد عليه الصلاة
والتسليم.
والإصلاح سعي لجعل الخير
والبر والصلاح على وجه
الأرض وليس البقاء على
صلاح فقط.



أيضاً، فيربي النسل وليس له هم إلا الدنيا والعيش فيها.
وهذا ما يجر النسل إلى الهلاك إضافة إلى الحرث.
إن المصلح مؤمن أصلح نفسه أولاً، وغايته الوحيدة أن
يعيش وهو يراقب الحق دائماً. ويجعل مهمة التوصية
بالحق والصبر دائماً مهمة له في حياته. وغايته من ذلك
زيادة الصدق والصلاح والبر والفضيلة. وكيف تكون
الزيادة في الصدق والصلاح والبر والفضيلة؟ فنحن
لا نستطيع أن نوصي غيرنا بما ليس موجوداً فينا. ولن
يؤثر في مخاطبنا الإيمان الذي لا يبدو فضائله وجماله
علينا. يجب أن يكون القلب السليم الذي أمرنا أن
نأتي به لله تعالى حاضراً في كل صفحة من صفحات
حياتنا، وينبغي أن يظهر الحس السليم، والذوق
السليم، والفكر السليم، والعمل الصالح في كل شيء
في مجالات حياتنا.
والإصلاح يوجّه أولاً إلى الحياة الاقتصادية وتربية
النسل، لأن المفسد يسعى لإفساد مجالين هما:
الاقتصاد والنسل. لذلك يُعدُّ أهم نشاطين للإصلاح
السعي من أجل تطبيق المعاملات التي يأمر بها ديننا في
علاقاتنا الاقتصادية، وبذل الجهد في التربية والتعليم
من أجل تربية نسل يرث ميراثنا المعنوي من بعدنا.
فهذان المجالان اللذان تضربهما شبكة الفساد دائماً
هما جرحان داميان يجب على الساعين للإصلاح أن
يهتمّ بهما أولاً.

على أحد أن الإصلاح حقيقة جاء بها محمد ﷺ.
والإصلاح سعي لجعل الخير والبر والصلاح على وجه
الأرض وليس البقاء على صلاح فقط. والعيش بهذه
الغاية أفضل طريق في هذه الحياة الدنيا التي لا نُسأل فيها
عن الثمرة بل عن السعي، وهو عذرنا الوحيد الذي نضعه
حين يحاسبنا الله تعالى.
(وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ
مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ) [الأعراف، ١٦٤]

والمصلح شخص يجعل الإصلاح همه، ويصلح
الفاسد، ويسعى لإصلاح نفسه وإصلاح مجتمعه.
وهو ضمان الحق والصبر. والمفسد نقبض المصلح.
فالمفسد يفسد الصالح، وقد ذمَّ القرآن الكريم المفسد
واتهمه بإفساد الحرث والنسل، إذ قال الله تعالى:
(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ
اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى
فِي الْأَرْضِ لِتُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا
يُحِبُّ الْفَاسِدَ) [البقرة، ٢٠٤-٢٠٥]

والمفسد إنسان لا بد من الحذر منه. وتذكر كتب
التفاسير أن أول مثال للمفسدين كان الأخنس بن شريق
الذي كان يحضر مجالس رسول الله ﷺ وكان جميل
القول. ويُروى أنه لما خرج من عند رسول الله ﷺ مرَّ
على قرية فأهلك الحرث والحيوانات فيها.
إن الذين يفسدون مدعين بأنهم يصلحون الأرض
يفسدون النظام الاقتصادي ويجرون النسل إلى الهلاك.
ويكسبون المال من المال بنظام قائم على الربا،
ويوسعون الفجوة بين الغني والفقير، ويحلون كل تجارة
حرّمها الله تعالى، والأسوء من ذلك كله أنهم يرون
الإنسان والعلاقات الاجتماعية بنظرة مادية، ويسعون
لجعل نمط المادية النمط السائد في الحياة. ونمط الحياة
هذا الذي لا يرى شيئاً مقدساً في الحياة يؤثر في التربية

الجوانب الإعجازية في القرآن الكريم

(٢)

إخباره عن الغيب

وإعجازه في النظام التشريعي

إخباره عن الغيب

ينبخر القرآن الكريم عن الغيب، وهذه الأخبار تظهر لنا أنه معجزة ظاهرة، ولم يكن بمقدور أي اكتشاف منذ ١٤٠٠ سنة تكذيب أي منها ابتداء بالوقائع التاريخية الغابرة وصولاً إلى الحوادث التي ستظهر في المستقبل على الرغم من تعرضها للكثير من الأمور العلمية والفنية. في حين أن أشهر موسوعات العالم في يومنا هذا يلزم تصحيحها وتجديدها بين الحين والآخر بمجلدات إضافية.

وقد وجدت بعض بقايا معلومات عن هلاك قومي عاد وثمود وطوفان نوح، لكنها على هيئة أساطير، ولكن القرآن الكريم قدمها للإنسانية ضمن إطار جعلها مصدقة من فلسفة العلم والتاريخ. ثم إن القرآن أخبر عن المستقبل أيضاً، ولنسرد بعضاً من ذلك:

قامت حرب بين الروم والفرس تغلب فيها الآخرون على الروم. فقال المشركون الذين رأوا أن هذا الوضع لصالحهم ضد المسلمين: «لقد ظننتم أنكم ستنتصرون بكتابكم السماوي، ها هم الفرس غلبوا الروم أهل الكتاب»، محاولين بذلك كسر عزيمة المؤمنين والمساس بآيائهم، وعقب هذا أنزل الله سبحانه وتعالى على المؤمنين هذه الآيات التي ستبعث السرور في قلوبهم:

﴿الْمِ غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

(الروم، ١-٥)

لقد كانت الروم واقعة في ضعف شديد آنذاك، فلم يكن أحد يورد أي احتمال في إمكانية تغلبها بعد الهزيمة النكراء التي لحقت بها وكسرت من شوكتها، إلا أن القرآن الكريم أخبر أنها ستكون الغالبة وأكد ذلك بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم، ٦)

وأخيراً تحقق وعد الله تعالى، وغلبت الروم الفرس في أقل من تسع سنوات حسبما اتفق عليه العلماء، وفي ذلك اليوم فرح المسلمون بانتصارهم على

المشركين في غزوة بدر. انظر: الترمذي، التفسير، ٣٠ / ٣١٩١-٣١٩٤؛ أحمد، ٢٧٦١؛ القرطبي، ٣٠١٤.

وإنه من المستحيل في حقه عليه الصلاة والسلام إخباره عن حوادث من هذا النوع تدخل ضمن الغيب من عنده دون استناد إلى الوحي.

إعجازه في النظام التشريعي

وإحدى جوانب القرآن الكريم الإعجازية أيضاً كماله وعظمته اللتين لا مثيل لهما في دائرة الشريعة (سن القوانين). إن إعجاز التشريع في القرآن الكريم نابع من جهات متعددة منها تمكن أحكامه التي يحويها من تلبية احتياجات كل العصور، وتعدر وجود نقص فيه بحيث يسمح لأهل النقد المنصفين بانتقاد أي نقص فيه. وتمكنه بسهولة من إيجاد حلول لمسائل تصعب على سائر القوانين، واشتمال أحكامه التي سنّها على حكم كثيرة، وأخيراً إيصاله إلى هذا النظام العظيم في مدة قصيرة جداً قياساً على غيره من الأنظمة.

لقد ظهر نظام عظيم فجأة في قوم لم يأخذوا نصيباً من العلم والحضارة والثقافة بواسطة نبي أمي لا يعرف القراءة والكتابة وليس له تحصيل علمي. وهذا النظام بدوره وضع القانون المدني والأحوال الشخصية والأحكام المدنية وأحكام الحرب والسلام وغيرها وأظهرها على النحو الأجل والأكمل.

ثم إن القرآن الكريم إلى جانب إتيانه بمثل هذا النظام القانوني الملائم لكل العصور القادمة إلى يوم القيامة فإنه في الوقت نفسه جعله يتشكل في مدة قصيرة جداً. يقول المفسر القاسمي في هذا الصدد: «أن الخالق تعالى ربّي الأمة العربية في ثلاث وعشرين سنة تربية تدريجية لا تتم لغيرها - بواسطة الفواعل الاجتماعية - إلا في قرون عديدة» (محاسن التأويل، ١، ٣٧٢، البقرة، ١٠٧)

إن الميزات التي تحدثنا عنها حتى الآن ليست إلا بعضاً من جوانب القرآن الكريم الإعجازية.

يقول الله تعالى لفرعون الذي لجأ إلى التمسك بحبل الإيمان وهو على وشك الغرق في البحر الأحمر:

﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس، ٩١-٩٢)

لقد تم العثور على جثة فرعون عقب أبحاث أجريت قبل زمن ليس بالبعيد، ويتم عرض هذه الجثة الآن في متحف بريتيش (British Museum) الكائن في لندن في الصالة ٩٤ وهو في وضعية السجود ولا يزال يغطيه جلده وشعره.

ثم إن إخبار القرآن الكريم عن الكثير من الحوادث قبل وقوعها هو من قبيل إعلامه بالغيب، ومن بينها انتصارهم على المشركين في غزوة بدر، وأكد ذلك بقوله سبحانه وتعالى:

﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر، ٤٥)

ودخولهم المسجد الحرام آمنين، وتمكنهم من فتح مكة، وأكد ذلك بقوله سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَعَجَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح، ٢٧)

ودخول الناس في الإسلام أفواجا، وأكد ذلك بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (النصر، ٢)

وظهور الدين الإسلامي على سائر الأديان الأخرى، وأكد ذلك بقوله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح، ٢٨)

إلى غير ذلك من الأخبار الذي أخبر عنها القرآن الكريم قبل حدوثها.

مقياس الحياة في الإسلام

ومن الأحاديث الشريفة في هذا الشأن قول رسول الله عليه الصلاة والسلام:

"إذا استأجرت أجيرًا، فأعلمه أجره" [النسائي، المزارعة، ١]
"أعطِ الأجير أجره قبل أن يجف عرقه" [ابن ماجه، ٢٤٤٣]
وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي:
"قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعط أجره". [البخاري، البيوع ٢٢٢٧/١٠٦]

وقد أشار رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى المعايير المتعلقة في أجر العامل والأجير إذ قال:

"من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً. من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق". [أبو داود، الإمارة، ١٠/٢٩٤٥]

ففي هذا الحديث بيان لضرورة تأمين بيت ومسكن والخدمات الأخرى للعامل الذي ليس له مسكن حتى يصل إلى معايير الحياة الواضحة في الحديث. [انظر، أبو داود، الإمارة، ٢٠] وهذا يعادل في أيامنا هذه الخدمات الاجتماعية مثل العون في دفع الإيجار، وتأمين مسكن، والعون على الزواج، وتأمين النقل، ومساعدة الصغار في دراستهم.

إن الآيات الكريمة التي تأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، كقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...) [النحل، ٩٠]
وأداء الأمانات إلى أهلها، كقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...) [النساء، ٥٨]

وإيفاء الكيل والميزان وعدم
بخس الناس أشياءهم:

(فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ

أَشْيَاءَهُمْ) [الأعراف، ٨٥]

تبيين بصورة عامة
الحقوق بين
العامل
وسيدّه.

اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون".
[البخاري، الإجارة، ١٢/٢٢٧٢]

ويمكننا أن نفسّر حركة الصخرة بانهميار تراي، ولكن علينا أن نعلم بأن رسول الله ﷺ ما كان يروي القصص للمتعة. ونفهم من هذا الحديث أن تشغيل مبلغ مخصص للعمال في قطاع تربية الماشية بطريقة المضاربة موجود منذ قديم التاريخ. ويكفي أن نجد عمالاً وأرباب عمل صادقين مخلصين متمسكين بالكتاب والسنة،

وعندئذ نجد البركات والفيوضات في الدنيا قبل الآخرة. إن الملك في النظام البشري إما للفرد وإما للمجتمع، وأما في الإسلام فالملك لله.

وأما أعظم خطيئة يقع فيها الإنسان في استعمال ما يملك فهما: الإسراف والبخل.

الإسراف هو إنفاق المال من أجل تلبية رغبات النفس، وإظهار القوة بالإنفاق لإخفاق الشعور بالدونية. والبخل جمع المال. وكلاهما صفتان سيئتان تجر صاحبهما إلى النار.

إن الإسراف من أكبر مصائبنا اليوم، فنحن نعاني من بلاء التكبر بالأشياء التي نشترها لاقتناء شيء من علامة تجارية وطلباً للشهرة. فمن الجنون أن نشتر شيئاً غالياً لأنه من صنع علامة تجارية معينة والتفاخر به. وكثير من العلامات التجارية المعروفة تعادي الإسلام لأن وراءها حركات صهيونية عالمية، وبذلك ندعم الظالمين بأموال الغافلين من المسلمين.

إن كلّ إنسان سيُحاسَب على ما يملك امتحاناً له وسيُحاسَب على طريقة كسبه وإنفاقه. لذلك فإن معرفة استعمال المال والثروة استعمالاً صحيحاً في دار الامتحان مهارة لا يتقنها إلا العظماء، فإنفاق المال من أجل النفس إسراف، وجمعه للنفس بخل.

فتحديد الإسلام هذه المعايير قبل ألف وخمسمئة سنة دليلٌ على تقدم الإسلام على مجتمعات الغرب في قضاء حاجات المجتمع في أيامنا هذه.

ومن المثير للانتباه ما أصدره الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز في شأن الذين يؤمّنون قوت يومهم بمرتباتهم: "ينبغي لكل واحد بيت وفرسه تعينه على العدو وأشياء تلزمه في بيته. فمن لم يكن له، عُدَّ غريباً يُدفع له من أموال الزكاة". [أبو عبيد، كتاب الأموال، ص ٥٥٦]

وقد بيّن رسول الله عليه الصلاة والسلام معيار الحياة التي يهدف إليها المجتمع الإسلامي بقوله: "من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح". [أحمد، مسند، ١/١٦٨]

ولنختتم الموضوع بمثال ذكره رسول الله عليه الصلاة والسلام من الأمم السابقة: "انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى

أووا المبيت إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم...".

فذكر الرجل الأول إحسانه لوالديه، والثاني إحسانه لامرأة، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي عليه الصلاة والسلام:

"وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراً، فأعطيتهم أجراً غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدّ إليّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً،



رابعة برودبك

سر العشق في الاختلاف

إن الإنسان لا يصل إلى سر العشق من غير أن يدخل من باب الفناء، وباب العوز، وباب القُرْبية، وباب الفقر. وسرُّ العشق الفقر، والفقر أغنى أحوالنا. والفقر أعلى الدرجات التي قد يبلغها الإنسان، وأعلى مراتب تربية النفس. يقول مولانا جلال الدين الرومي: "تحيط قلوب أهل الله الفقر، فالفقر شيخ الشيوخ، والقلوب كلها مريدوه".

وقدرته التي لا حدود لها. وبذلك يزول الغش، وينتهي النفاق، وتنعدم المصالح، ولا يبقى خداع ولا فساد ولا استغلال ولا عدوان ولا سوء استعمال، فتتجلى الهداية والرحمة والمغفرة والأمن والأمان والطمأنينة والسلام الداخلي.

لا بد من السعي في طريق الفقر المعنوي من أجل التخلص من حدود الحياة الدنيا. علينا أن نلجأ إلى الله تعالى بفقر وعجز وبصدق تام وبلا قيد ولا شرط. وكما قال مولانا جلال الدين الرومي:

"المعراج التجرد من الوجود".

إن غاية المؤمن ومقصوده الفقر نحو الدنيا، والتخلص من نفسه من أجل نيل الثراء الأبدي للطمأنينة، وهذا هو كنز "الإحرام" والنور في الداخل. فنحن حينما نرتدي ثوب الإحرام، يشع نور المعرفة في قلوبنا، ويكون لنا فرصة للوصول إلى مرتبة المعراج. وهذه الحال هي الوصال مع ربنا الذي هو أقرب إلينا من أنفسنا. يقول مولانا جلال الدين الرومي: "ما معراج السماوات؟ الفناء. ودين العاشقين ومذهبهم الفناء". "أيها العشاق، اهربوا من صفات الوجود، وافنوا في مشاهدة جمال الحق". "لقد زلتُ في وجود العشق حتى صار فناء ألد من وجود بألف مرة".

لا يمكن أن يُنار الكون إلا بانعدام الأنا. وما يطلبه الله من المؤمن أن يدرك عجزه وضعفه وعيوبه بفقره المطلق وعريه ويقدم نفسه في حضرة الله تعالى.

كان رسول الله ﷺ يتيماً أمياً، لذلك يمكن فهم نبينا الحبيب بفهم اليتيم والأمية والاضطرار للهجرة وترك الوطن. ونحن حينما نقرأ سيرة رسول الله ﷺ ونتمتع فيها، نرى بأنه كان دائماً بجانب الضعفاء والعاجزين والفقراء والمساكين والمحتاجين. وكان من أسمائه ﷺ "ملجأ الفقراء" أي جزيرة سلامهم، ومن أسمائه "أنيس الضعفاء". ففهمه ﷺ يعني فهم حاجته لربه وفقره إليه. وكان فقره ﷺ مصدر إلهام له، وكان من دعائه لربه: "اللهم أحييني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنني في زمرة المساكين".

والشيء الوحيد الذي يقربنا من مرضاة الله تعالى أن نكون في حال فقر إليه. والفقر جوهر دين الإسلام. والفقر يحتوي في داخله على جميع الصفات الجميلة الحسنة التي في كل مؤمن، لأن تضحية الإنسان بجوهره وسيلة لتضحيته بنفسه من أجل الله وحده. لذلك ينتج عن مرتبة الفناء التواضع الحقيقي، والتسليم الصادق، والمحبة العظيمة، والخشوع الشديد، والكرم الواسع، والعبودية الخالصة. وإذا فهمنا فناءنا، نفهم عظمة ربنا

مراتب تربية النفس. يقول مولانا جلال الدين الرومي: "تحيط قلوب أهل الله الفقر، فالفقر شيخ الشيوخ، والقلوب كلها مريدوه".

وإذا أردنا أن نصل إلى مقام الفقر فعلينا أن ندرك حقيقة قول: "موتوا قبل أن تموتوا". ويقول جنيد البغدادي في هذا الشأن: "التصوف أن يجعلك الله تعيش في الفناء فيه بإبعادك عن نفسك بالموت". ويقول محيي الدين بن عربي: "إننا نقدّم لله أسماؤه، وهو يقدّم وجوده". ويعرّف مراحل الولاية الثلاثة المتسلسلة بقوله:

"إذا كان الفقر سكوت الإرادة، فالأمية سكوت العقل، وأما العبودية فسكوت الوجود". وسكوت الوجود يمثل مقام العبودية. إن أهل الله وصلوا إلى الفناء في حضرة الله، وقد رأت أرواحهم الأنوار الأبدية من غير حجاب، فعشقوا الفناء حين شهدوا الجمال الإلهي العظيم. وكما قال بهاء الدين ولد: "يلزمنّا مَنْ تذرف دموعه عشقًا حين ينظر إلى الفناء".

حينما دخل سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه دين نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وآله، عذبه سيده أشد العذاب، وأراد منه أن يرجع عن هذا الدين، ولكن سيدنا بلالاً كان يقول دائماً: "أحد، أحد". فما أعظم الحكمة التي علّمنا إياها بباته على الإيثار وشجاعته وصبره، وكأنه بكلمته:

"أحد" يقول لنا: "الله موجود، وأنا فان. أعطيت القليل وربحت الكثير، ربحت الخلود".

وأعلن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن الغنى والحرية باعتناق دين الإسلام دين محمد صلى الله عليه وآله، إذ قال: "أنا سلمان ابن الإسلام. كنت في الضلال، فهداني الله إلى محمد صلى الله عليه وآله. كنت فقيراً، فأغناني الله بمحمد صلى الله عليه وآله. وكنت عبداً، فأعتقني الله بمحمد صلى الله عليه وآله".

فإذا كان المؤمن لا يدرك عجزه أمام ربه القادر على كل شيء، وإذا لم يكن يشعر بحاجة إلى رغبة شديدة، وشوق عارم، وتوسل عظيم لربه، ولم يكن حائراً مندهشاً أمام الجمال الإلهي، فلن يكون عبداً كما يريد الله تعالى.



إن حال الفقر تعني إقامة صلة تواضع بين المخلوق والخالق. وحال الفقر تفتح آفاق إدراك العبد عبوديته وحاجته الدائمة وارتباطه بخالقه. وحال الفقر تعني إنقاذ نفسك من بساتين الدنيا والتسليم لأمر الله. وحال الفقر تفتح أبواب العجز والحاجة والفقر والتواضع. وحال الفقر تجرّد الخداع من ثوبه، وترفع الحجب، وتذهب العوز المعنوي وهموم القلب والقلق، وتقوي المشاركة.

ولا يصل القلب إلى مرتبة القُرْبية إلا إذا كان مُجَهَّزاً بسر الفقر المعنوي. والقلب المليء بالأصنام وأدران الدنيا لا يصل إلى جنة القُرْبية. وإذا امتلأت قلوبنا بأمراض الأناء، فلا يبقى مكان لرحمة الله. علينا أن نظهر قلوبنا من الحسد والطمع والكبر والجشع والكسل والجهل. يقول مولانا جلال الدين الرومي:

"الأنا تؤدي إلى سُكر رهيب، فيُخرج العقل من الرأس والتواضع من القلب". "الدنيا كلها تتجه إلى جهة خاطئة، لأن الناس يخشون من الفناء مع أنه ملجؤهم الوحيد".

إن الإنسان لا يصل إلى سر العشق من غير أن يدخل من باب الفناء، وباب العوز، وباب القُرْبية، وباب الفقر. وسرّ العشق الفقر، والفقر أغنى أحوالنا. والفقر أعلى الدرجات التي قد يبلغها الإنسان، وأعلى

صفحة جديدة قلب طاهر

في يوم من الأيام جاءتنا البشرية، إذ طلب جماعة من أهل القرية التي كانت مركز الأصنام ولا يعيش فيها إلا مسلم واحد أن يسلموا، فلم نستطع أن نتأخر لرؤية هؤلاء الجماعة، فالحياة فانية...

وبعد يوم أرسل زعيم القرية خبراً إلى إخوانه المسلمين الذين صار يتواصل معهم وعرفوه بفضائل الإسلام. فقد أخبرهم بأنه يريد أن يكسر الأصنام التي كانوا يحتفظون بها في بيوتهم، وأراد أن يعينوه على ذلك. ولم يكن مثل هذا الطلب من قبل. كان طلباً عجيلاً وجميلاً في الوقت نفسه... ربما كان خائفاً، أو لم يجرؤ... أو ربما أراد أن نرى كيف سيحدث ذلك، ونشاهد النتيجة. وكان من الممكن أن تكون نتائج سلبية لمثل هذا العمل الجميل الممتع لنا، ولكننا قبلنا قبول هذا الطلب. فانطلقنا في صباح اليوم التالي مع إخوان لنا، ووصلنا إلى القرية وانتظرنا إخراج الملك جميع الأصنام

لا نستطيع أن نعلم النعمة التي سننالها غداً، لذلك نقول: "نصيينا". ونجهل المصائب التي ستحل علينا وكذلك النعم التي نُسَر بها. وفي هذه المقالة ندعوكم لمائدة معنوية لنعمة وجمال لا يُشبع منها.

في بداية عام ٢٠١٧ أسلم أهل قرية في بوركينا فاسو بأفريقيا، أي تخلص أهل القرية من عبادة الأصنام التي كانوا يصنعونها بأيديهم وقرروا الإيمان بالله وعبادته. وقد يبدو ذلك هيئاً لنا، ولكنه تغيير عظيم في الحياة. تغيير يشمل الجميع... وأقيم حفل هداية عظيم يُشبع قلوب أهل القرية الذين أسلموا حديثاً والذين كانوا وسيلة هدايتهم.





متسائلين. ثم أخرج الملك مع ابنه الذي أسلم الأصنام. فكانت هذه الأصنام التي تحدث عنها قِدرين قديمين مغبرّين. فكانا أمرًا مضحكًا لنا، ولكنهم ظلوا يقدّمون الأضاحي لها سنوات طويلة. وفي ذلك اليوم حدّثنا الملك بحديث مؤلم عجيب يذكّرنا بمسؤولياتنا، إذ قال:

"لم نثق بهذه الأصنام منذ مدة طويلة، وفسد اعتقادنا بها، ولكننا ما كنا نعرف دينًا آخر وإلّا آخر نعبده من دونها، فبقينا نعبدها. وقدّمنا الأضاحي من الدجاج لها سنوات طويلة. وأما القرية التي مرّرت بها حين أتيت إليّ فيها أصنام كبيرة، ذلك المكان حيث تكون الأصنام الكبيرة. كنا نضحى بالأبقار هناك. وقد كففتنا عن التضحية بها في السنوات القليلة الماضية، وذلك لضعف قدرتنا المادية، وقلة إيماننا بهذه الأصنام..."

أي كان لهم أصنام كبيرة في القرية، وهؤلاء الناس كانوا يعبدون الأصنام التي يصنعونها بأيديهم منذ مئات السنين. ودعونا الله في ذلك اليوم أن يوفّقنا لإقامة حفل هداية في هذه القرية التي فيها هذه الأصنام الكبيرة والتي لها تأثير على القرى المجاورة. ولما رجعنا، وجدنا أن بيوت هذه القرية ليست كاليوت الأخرى في بوركيننا. فقد كان في بعض البيوت أبراج مثل أبراج القلعة، ربما كانت من أجل وضع الأصنام فيها.

ومرّت مدة طويلة على هذه الزيارة، ولكن بقي شوقي لهذه القرية في قلبي دائماً. وكان في القريتين المجاورتين لها مسلمون أيضاً. فطلبنا العون أولاً من الملك الذي تشجع على كسر الأصنام في بيته، فأخبرنا بأنه سيكلّمهم. ثم تكلمنا مع إمام القرية وبعض من كبار المسلمين كي يعملوا من أجل هذا الموضوع. وعلمنا أن في هذه القرية مسلماً واحداً فقط، وأنهم لم يقبلوا طلب أحدهم ببناء مسجد هنا. ولكن إخواننا وعدونا بالعمل.

وفي يوم من الأيام جاءتنا البشري، إذ طلب جماعة من أهل القرية التي كانت مركز الأصنام ولا يعيش فيها إلا مسلم واحد أن يسلموا، فلم نستطع أن نتأخّر لرؤية هؤلاء الجماعة، فالحياة فانية...

فوصلنا إلى القرية في طقس ماطر كأن الرحمة تنزل على القلوب. كان أهل القرية ينتظروننا والخوف يبدو من جميع أحوالهم، فكان الكلام والموعظة أولاً، وتحدّثنا عن فضائل دين الإسلام الذي اعتنقوه في مدة قصيرة، وشرحنا لهم عن وجود الله ووحدانيته، وبأن الأصنام التي يعبدونها لا تنفعهم ولا تضرهم شيئاً. وأن الذين يدخلون الإسلام ويصلون لن يموتوا فوراً، وأن الموت بيد الله وحده. (فالفكرة الرائجة هنا كانت أن من يدخل الإسلام، يمسي فقيراً ويموت)

ثم نطقنا كلمة الشهادة معاً، فكانت لهم صفحات بيضاء جديدة، وزالت صفحات الكفر والشرك من دفاتر أعمالهم. فقد بدؤوا حياتهم بدفاتر أعمال نظيفة. ثم صلّينا صلاة الظهر معاً. فكان يوماً عظيماً بسجود الجباه لله تعالى لأول مرة في الحياة، ولم تفسد أصوات الضحكات التي كانت تُسمَع من حين لآخر صلواتهم، ولا صلواتنا...

لقد أصبحنا إخوة، فكان لا بد من مشاركة ما نملك. فوزّعنا الهدايا التي كانت معنا، وذبحنا الأضاحي التي كانت أمانة عندنا، فلم نُفرِح القلوب فقط، بل أفرحنا الموائد أيضاً في ذلك اليوم.

لقد كنّا نحن السعداء حقاً وإن كانت سعادتهم بالهداية ظاهرة. والحمد لله رب العالمين...



من دروس
الشيخ موسى طوباش

تسليم رسول الله ﷺ

بيته، ولكنه كان مطيعاً لأمر الله سبحانه وتعالى متوكلاً عليه. خرج وهو يتلو الآيات الأولى من سورة يس التي تصدّق أنه نبي مرسل.

ومن أعظم الدلائل على توكله على ربه سبحانه وتعالى واعتماده عليه أفعاله طوال الطريق والغار ومعاملته سراقه بن جعشم الذي تبعه.

وبينما كان رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يستريح في ظل شجرة مع أصحابه الكرام رضوان الله عليهم في طريق رجعتهم من غزوة نجد، ناموا جميعاً من شدة تعبهم. وكان سيف رسول الله عليه الصلاة والسلام معلقاً على شجرة، فجاء أعرابي وأراد أن يقتل رسول الله عليه الصلاة والسلام، فاستيقظ رسول الله عليه الصلاة والسلام وبيده السيف.

فصاح الأعرابي:

"مَنْ يَنْجِيكَ مِنْي؟"

فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "الله" فسقط السيف من يد الأعرابي.

فهكذا كان توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الله وتسليمه له.

إذا قرأنا سيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فلن نجد في سيرته ذرة من خوف أو قلق أو يأس على الرغم من المصائب التي نزلت عليه والمشقات التي أصابته.

فقد أبدى عليه الصلاة والسلام العزيمة نفسها وقوة الإرادة عينها أمام المهالك العظيمة حين

كان وحده بلا حام في مكة، وكذلك في أحد وحنين. ولمّا سأله عمه أبو طالب بأن يترك الدعوة، قال: "يا عمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله أو أهلك دونه".

وأثناء هجرته أراد كفار قريش

أن يقتلوه، فحاصروه في بيته، فخرج رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم من بيته في سكينته وأمر عليّاً أن ينام على سريره.

وكان ذلك السرير مسرحاً لجريمة ستُرتكب في تلك الليلة، ولكن سيدنا عليّاً رضي الله عنه نفَّذ أمر رسول الله بتسليم تام. وتوكل رسول الله عليه الصلاة والسلام على ربه القادر على تحويل ذلك السرير إلى جنة، وترك بيته واثق الخطأ، وكان أعداؤه يحاصرون



من دروس
الشيخ محمود سامي رمضان أوغلو

إِذَا دَعَا مُسْلِمٌ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ

وبالنظر إلى كتاب (تفسير نعمة الله) نجد أن المراد من الشفاعة الحسنة هي الشفاعة التي تقع من أجل رضا الله بترغيب الخير والترهيب من الشر من غير قصد منفعة للنفس إلى جانب رعاية حقوق الله وحقوق العباد. وكذلك من الشفاعة الحسنة دعاء المؤمنين بعضهم لبعض بالخير، وإصلاح ذات البين، والسعي لمنفعة أحدهم في غيابه، والعمل على دفع المضرات.

وبالنظر إلى (تفسير الخازن) نجد أن المراد من الشفاعة السيئة هو السعي لضرر إنسان أو النيمة من أجل إثارة العداوة والفتنة بين الناس أو الدعاء على المؤمنين. فنجد في الآية أنه من يشفع شفاعة سيئة سيجد وبالها ووزرها في الآخرة، وكذلك سيجد مساوئها وضررها في الدنيا.

وخلاصة الكلام أننا نفهم من هذه الآية أن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن لوجه الله من أجل جلب النفع له أو دفع الضرر وشفاعته سيكون لها فائدة في الدنيا والآخرة، وكذلك دعاؤه على المؤمنين وشفاعته السيئة سيكون لها ضرر عظيم في الدنيا والآخرة. فعلى المؤمنين أن يحذروا أشد الحذر من الدعاء على إخوانهم. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: "اللهم فأَيُّما مؤمناً سببته فاجعل ذلك له قرية إليك يوم القيامة".

وقت السحر هو الثلث الأخير من كل ليلة، وله فضائل كثيرة. ويوم الجمعة يوم عظيم للدعاء، فقد قال رسول الله ﷺ: "إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم -وهو قائم يصلي- يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه". وتلك الساعة مجهولة. ولكن المراد من الساعة هنا ليس ساعة واحدة، ربما هي وقت أقصر. فعلى أن نزيد من أدعيتنا يوم الجمعة مقارنة بالأيام الأخرى. وكذلك

علينا أن ندعو الله في الأوقات المباركة مثل ليلة القدر، وليلة عرفة، والليالي المباركة الأخرى إذ تنزل رحمت الله تعالى.

ولا يجوز حصر الدعاء في أوقات معينة وتركها في سائر الأوقات. يقول الله سبحانه وتعالى:

(مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا) [النساء، ٨٥]

والمراد من الشفاعة الحسنة في هذه الآية الجليلة حضُّ رسول الله ﷺ المؤمنين على القتال الذي هو أمر بالخير، وكذلك يعني احتمال شفاعة بعض المؤمنين الذين لديهم رغبة في الجهاد ولكن ليس لديهم العدة له فهم يشفعون بذلك عن الأغنياء. ومهما كان المعنى المراد، فهو يشمل الشفاعة والدلالة على أمر الخير.

من حريفة الفؤاد

عصاه نوري طوباس

دنيا قلب المسلم - ١

وصفة النجاة للأبدية والمعنوية



لطالما واجهت المجتمعات احتياجات روحانية عظيمة في الحقب التاريخية المتأزمة مثل زمن الحملات الصليبية واجتياح المغول في التاريخ البعيد، والحربين العالميتين الأولى والثانية التي قتل فيها ما يقرب من ١٠٠ مليون إنسان في التاريخ القريب.

في هذا الأزمنة دائماً ما أعان إرشاد أهل التصوف، على وجه الخصوص، المجتمعات على النجاة من اليأس والإنهاك المعنوي، وكان مصدراً لسلاهم وفسحتهم، فكأنما أعاد إحياء القلوب المرهقة، بطاقة إيجابية وفيض وروحانية. وقد أدت التكايا، خصوصاً، وظيفة مراكز إعادة التأهيل النفسي المعنوي في هذه الأزمنة الصعبة.

في مقابل ذلك، في أزمنة الرخاء اليسر، أدى إرشاد أهل التصوف وظيفة استثنائية تتمثل في كبح جماح الشهوات والحفاظ على وجهة المجتمعات.

يشهد هذا العصر جاهليةً حديثة. والخراب الذي أحدثته القوى العالمية بقوتها العسكرية في بلاد الإسلام، والدمار الذي خلفته، بما لديها من قوة اقتصادية وثقافية، في دنيا قلوب الإنسانية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. إنما يراد للأجيال الحالية أن تتحول إلى روبوتات يجري التحكم فيها عن بعد. وهناك مساعي للقدح في الإيمان والأخلاق والعفة والشرف والحياء والضمير والفضيلة ودفعها دفعاً خارج ميادين الحياة.

تجري تغذية الأذهان البشرية بحياة جسدية لا حساب فيها ولا كتاب ولا مسؤوليات تماماً مثل حياة الكائنات الأخرى، انطلاقاً من مفهوم دنيا بلا أخرة.

وفي خضم هذه التيارات تضيع الأجيال التي حُرمت

من التعليم الاسلامي ومشاعر التقوى والإيمان كمثال جذع شجرة يجرفه السيل.



وإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والأعمال التي تدعو إلى القلوب إلى الروحانيات والسلام والاستقامة مستفيدة من المناخ القلبي لأهل الله هم من أهم وسائل هذه التحذيرات والإرشادات والدعوات.

وإن هذا الأعمال إن قرأت بتمعن فمن المحقق أنها ستزين القلوب بالفيض والروحانيات، تماماً كمثّل رياح هبت على حديقة مزدانة بأزهار، كالورد، والزنبق، والقرنفل، تنقل هذه الروائح العطرة إلى حيث تذهب.

كما فعلت رسالة الأنبياء، والصحابة الكرام، وأولياء الله، وأهل التقوى، والعلماء، والعارفين، وإرشاداتهم التي تعج بالفيض والروحانيات، والثقافة الإسلامية والعرفانية التي يمكن أن نصفها بمال الأمة العام.



يقول أهل الله:

"ليس للسحب في السماء والمياه في البحار لون خاص بها، إنما هي الشمس في السماء تضيئ عليها صبغتها."

وأهل الله هم أولئك الذين تركوا التلون وصاروا عديمي اللون بعدما تخلصوا من سلطان أنفسهم.

وبذلك فإن أهل الحق قد تلونوا بصبغة الله جل جلاله، فنالوا الأسرار والحكم الإلهية.

فكما أن نهر صقاريا عندما يصب في البحر الأسود لا يسمى بعد هذه النقطة من البحر باسم نهر صقاريا، فأهل الله بلغوا مرتبة الفناء في الله، وهم عباد تلونوا بصبغة الله سبحانه وتعالى.

إن تدفقات القوة في المخلوقات كمثّل أشعار إلهية صامتة. أما القدرة على قراءة هذه الأشعار فهي ممكنة بالقدر الذي يكون به عمق الأحاسيس القلبية.

إن الإنسان إن تجول في مدرسة الحياة هذه بوجه عبوس أبله، دون أن يفهم لسان

حال الورود والزنايق والبلابل والرياح

والجبال والأنهر يتحول قلبه إلى أطلال مظلمة.

ولا بد للتأكيد على ضرورة

أن يتمكن المؤمن من النظر

إلى الكائنات والأحداث من

أفق الإيمان وزاوية العرفان

ونافذة الآخرة، لا من منظور

الجاهلية الحديثة المادي العلماني.

"الغنى

الحقيقي: الانفاق"

الذي هو من أهم مسؤوليات

العبودية لله في هذا الزمان، فيجب

أن تكون التضحية بالإمكانات المعنوية

والمادية كافة هي السجية الأصلية لأي مؤمن.

ولا بد من تجاوز البخل والخوف من الفقر

الذي يهمس به الشيطان في قلب العبد. أي

الوقوع في غفلة الاعتماد على المال لا

الله، هو ضعف كبير في الإيمان

في القلب.

التآلف مع الله:

أن السكينة الحقيقية في الدنيا والآخرة إنما ترتبط:

- بتآلف القلب مع الله تعالى.

- ووجوب زيادة تعظيم القرآن الكريم الذي هو

مرشدنا إلى الهداية، والأنس به.

- وحب واتباع سيدنا رسول الله عليه الصلاة

والسلام وسنته الشريفة التي هي تفسير فعلي للقرآن

الكريم.

وإن أجمل هدية يمكن أن تقدم إلى المولى عز وجل هي مرآة لقلب نير مجلى مصفى لطيف تتجلى فيه أسماء الله الحسنى.

وحتى يبلغ القلب هذه المرتبة ويحافظ عليها فمن الضروري القيام بأعمال ومسؤوليات مهمة مثل التوبة والاستغفار وإحياء الأسرار وحياة العبادة والتواضع واجتناب الكبر والفخر، والغفران والتسامح وكظم الغيظ والشكر والصبر والرضا والاستحقاق في الحب والكره ومعية الصالحين واجتناب الفاسقين واجتناب الحرام.

وهناك معايير تعد بمثابة صفات معنوية للسعادة والسكينة لدى الفرد والأسرة والمجتمع مثل المسكن المطمئن للأسرة والعلم والتحصيل الحقيقيين والتبليغ وأسلوبه.

ووجوب أن يكون المسلم إنساناً رحيماً مزداناً بالأدب والعذوبة، وضرورة أن يكون ذلك العلامة المميزة للمؤمن ووجوب أن يحبي قلبه بالخدمة التي هي الدرجة العليا في القمم المعنوية.

وعلى التنبيه إلى أهمية التألم لألم العالم الإسلامي الذي أضحى اليوم محرقة ومأتماً، أي أهمية الاهتمام بأمر الأمة وإنقاذ الناس من هذه المحرقة.

وأهمية أن نحيا مدركين أننا في خضم رحلة إلى الأبدية ممتلئين بشعور استبدال الحياة الدنيا بالأخرة التي هي الحياة الحق، وأهمية اجتناب الوقوع في غفلة العيش في دار الفناء تلك وكأننا مقيمين فيها لا ضيوف.

مفهوم "القلب"

أولاً القلب مفهوم يعود إلى عالمنا [الشرقي] وليس له مرادف دقيق في لغات الغرب المغرقة في المادية. وللقلب وظيفة وماهية خاصة، كما قال عنه النبي ﷺ أنه: "...مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله..."

(البخاري: الإيمان، ٥٢)



"التصوف-الشرعية-الاستقامة"

التصوف ما هو إلا العيش بقلب ملئ بالمحبة والعشق والوجد والاستغراق على نهج القرآن والسنة. وأنه ليس ثمة أي علاقة بين كل شئ خارج نطاق هذه الاستقامة والحياة الصوفية.

وإن غاية التصوف ليست الوصول إلى الكشف والكرامات، وإنما هي بلوغ كمال العبودية، وتطبيق الشريعة بشكل كامل وبما يليق بصاحبها وإمضاء العمر على الاستقامة من خلال الوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، ومحبة الله، وخشية الله، والإحسان والتقوى...

أما تركية النفس وتصفية القلب، فلا بد من الحفاظ على طهارة القلب معناً ليكون من نصيبه أن تتجلى الرحمة الالهية على عالمه.

فكما أن المجوهرات القيمة لا توضع في أوعية قدرة وملطخة، بل تحفظ في صناديق نظيفة للغاية متألثة معتنى بها، فهكذا عالم القلوب، ينبغي أي يتم الحفاظ عليه طاهراً حتى يكون موضعاً يليق بالتجليات الإلهية.



بتعبير يونس إمرة "القلب عرش الرب" ولذا فهو مهم.

والقلب أيضاً هو محل عين الله ومقر الإيمان، أي مركزه.

والإيمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب - وليس العقل.

من هذا المنظور، إحياء قلب واحد هو عمل صالح قيم للغاية عند الله سبحانه وتعالى، بل هو، بتعبير بعض العارفين، هو حج أكبر.

بيد أنه يجب ألا يفهم من ذلك أن إحياء قلب واحد لا يعدو أن يكون إسعاده بالمعنى الدنيوي المادي فحسب. فالأصل في إحياء القلوب هو جعلها تلتقي بالله سبحانه وتعالى وسيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام، والقدرة على تزيينها بالإيمان والقرآن الكريم، وإنقاذ حياتها الأبدية من أن تكون فصلاً من العذاب، وإعانة الناس على بلوغ السعادة والسلامة الأبدية.

مرة أخرى، لما دنیا قلب المسلم مهمة؟

إن غفلة القلب وقسوته تنعكس

انعكاساً على أحوال وسلوكيات الإنسان، كما ينعكس العفن في جذور الأشجار على أوراقها وثمارها.

ولهذا السبب، من المهم بمكان حماية دنیا قلب المسلم من السلبيات التي تبعده عن الله سبحانه وتعالى. وإلا فإن القلوب يمكن أن تمتلئ بكثير من الأصنام كما امتلئت الكعبة التي هي مكان التوحيد بالأصنام في عهد الجاهلية.

ولنوضح مرادنا هنا:

"ما الأصنام التي ينبغي تطهير القلب منها؟

- أحياناً ما تكون رغبات حسية يشعر العبد أنها أهم من تأدية أوامر الله سبحانه وتعالى.

- وأحياناً ما تكون مصالح فانية لم تترك من أجل الله فتتسي العبد الآخرة.

- وأحياناً ما تكون منصباً أو رتبة أو شهرة وصيتاً أو ثروة تبعد العبد عن ربه سبحانه وتعالى.

وأحياناً ما تكون شهوة تجاه الجنس الآخر."

ومنزلة القلب الذي هو مركز التجليات الإلهية من الجسد كمنزلة الكعبة من الأرض. وكثيراً ما نرى في الأدبيات الصوفية تشبيهات للقلب بالكعبة. وهذا التشبيه هو، جزئياً، نتيجة لتوقد العشق. وجزئياً أيضاً من أجل إدراك قيمة وضرورة تحويل القلب إلى مركز للتوحيد كالكعبة عبر تخصيص عرشه لله وحده.

وكلمات ابن عمر رضي الله عنه التي قالها مخاطباً الكعبة المعظمة في شأن أولئك الذين تحول قلبهم إلى

محل نظر الله لافتة للنظر:

"ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك" (الترمذي، ٢٠٣٢)

وفي صدد تأييد هذه الحقيقة يقول مولانا جلال الدين الرومي:

"اعلم أنك إن جرحت قلباً كان محل نظر الله فحتي لو ذهبت إلى الكعبة ماشياً ما عوضك ثواب زيارة الكعبة ذنب جرح القلوب."

ثمّة أنواعاً من الأشعة غير المرئية في الكون مثل أشعة ألفا، والبيتا، والغاما، والأشعة تحت الحمراء وغيرها.. فإن هناك أشعة لا نراها ولكننا نشاهد آثارها تنبعث من قلب الإنسان. ونطلق على النوع الإيجابي لهذه الأشعة القلبية تسمية الفيض، وعلى النوع السلبي تسمية "الغفلة" "القسوة". فمثلاً عندما نستمع إلى آية قرآنية أو حديث نبوي من إنسان صالح نشعر بتأثير مختلف عما إن قرأنا الآية أو الحديث ذاته بأنفسنا أو سمعناه من أحد العوام. وهذا ناتج عن الاختلاف القلبي.



ويحذر مولانا جلال الدين الرومي كذلك الذين يجرحون القلوب بقوله:

"إياك أن تحقر قلباً مهما كانت قيمته في نظرك، فهو مشرف على ما ترى فيه من ضعة، فالقلب الحرب قد ينظر الله إليه، وإن إصلاح القلب الحرب أفضل عند الله من أعمال خير كثيرة.."

ويقول الإمام الرباني:

"اعلموا جيداً أن القلب جار الله سبحانه وتعالى،

فليس هناك شيء أقرب إلى ذاته القدسية من القلب.

وعليه فاجتنبوا إيذاء القلوب، قلوب المؤمنين والعصاة على السواء! لأن الجار وإن كان عاصياً فهو في حماية الله. فلا تقربوا هذا الفعل! لأنه لا يوجد ذنب، بعد الكفر، يغضب الله مثل إيذاء القلوب. والقلب هو أقرب المخلوقات القادرة على الاقتراب من الله سبحانه وتعالى."

يقول الشيخ أبو الحسن الخرقاني:

"إنما يترقى الرجال (الأولياء) بطهارة الباطن (تزكية النفس وتصفية القلب)، لا بكثرة العمل."

"الصلاة، والصوم وسائر العبادات عظيمة، ولكن تصفية القلب من الكبر والحرص والحسد وغيره من الصفات الذميمة أعظم وأجل."

وفي الحقيقة فإن السر وراء ارتقاء كل الأولياء وأهل الله هو هذه الحالة من التواضع، والافتقار والعدم، والفناء.

الآيات التالية المنسوبة إلى الملا عبد الرحمن الجامي

مشهورة:

"اكسب قلباً لتكون قد أديت الحج أكبر، لأن قلباً واحداً خير من ألف كعبة.

الكعبة بنيان الخليل بن أزر والقلب محل نظر الله الجليل الأكبر"

بهذه المكانة اعتبر جرح القلب الذي هو محل نظر الإله جرماً عظيماً كهدم الكعبة. في المقابل، فإحياء القلب أيضاً أي جمعه بالله ورسوله هو عمل صالح عظيم له ثواب الحج الأكبر. ويقول الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَاتَمًا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة، ٣٢)

فإذا كان إنقاذ حياة الإنسان الدنيوية الفانية على هذا القدر العالي، فماذا عن إنقاذ حياته المعنوية الأبدية؟ ولك أن تتخيل قيمة ذلك عند الله سبحانه وتعالى!

ويقول رسول الله ﷺ:

".. لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون

لك حمر النعم" (مسلم، الفضائل، ٣٤/٢٤٠٦)

وعليه فإن من المسؤوليات الأخروية المهمة للغاية في يومنا هذا تبليغ المحرومين من الهداية وإرشاد المسترشد أي خدمة إحياء وإرشاد القلوب المحرومة من التقوى التي تنتظر الإرشاد.

على سبيل المثال هب أنك جلست بجوار نبع ماء وسقيت المارين به، وذلك من خير الحسنات وأجملها. ولكنك إن سقيت إنساناً أوشك على الهلاك من العطش في وسط الصحراء كان ذلك كإنقاذه من حريق.

واليوم، أهم دور للمؤمن هو إنقاذ الناس من الحريق الأخروي! في الأصل المؤمن مجبر على ذلك لأن المؤمن إنسان يتسم بالايثار، ويعرف تمام المعرفة أن طريق نجاته يمر من معاونة الآخرين أيضاً على النجاة.

أما القوام الذي يجب أن يكون عليه القلب ليكون المسلم مقبولاً عند الله تعالى؟ وكيف يجب أن يتجلى هذا القوام أولاً في العمل ثم في الأحوال والأخلاق على الترتيب؟



كما أن الثمرة غير الناضجة تكون حامضة ومرة ولكنها تكتسب قواماً حلواً كلما نضجت في الشمس، فهكذا دنيا قلب المسلم تحتاج إلى أن تكتسب قواماً ناضجاً في ضوء البيانات الإلهية والتربية النبوية وبركة إرشادات أهل الله.

أما عن قوام قلب المؤمن، فباختصار:

فهو قوام معرفة الله ومحبة الله والإخلاص والإحسان والمعية والقرب والشكر والصبر والرضا. ولا شك أنه يمكن إضافة المزيد من البنود هنا ولكن للتوضيح باختصار:

قوام معرفة الله: معرفة الحق جل جلاله في القلب. أي إدراك العبد ضعفه وعجزه أمام قدرة الله وعظمته. ومعرفته قدر نفسه وحدوده وامتنانه من قلبه وروحه لربه. وخضوعه بالتوكل والتسليم.

قوام محبة الله: القدرة على عيش الإسلام والإيمان في أفق المحبة والعشق. أي أن يواصل القلب قطع مسافات بأجنحة المحبة عندما يعجز العقل ويتوقف. وأن يزدان القلب بأحوال سيدنا رسول الله وأخلاقه. وأن يسير على خطى رسول الله بالولاء لصاحب الظل تماماً كما عاش الصحابة الكرام والأولياء والسلف الصالح.

قوام الإخلاص: أن نؤدي عبادتنا وأعمالنا الصالحة دون انتظار مقابل، حسبةً لله، وألا نلقي بظلال الغايات

والمصالح الفانية على العبادات. لأن عقيدة التوحيد لا تتحمل التشارك.

قوام الإحسان: أن نعبد الله كأنه يرانا في كل مكان وزمان وندقق في كل أحوالنا وحرركاتنا وفقاً لذلك.

قوام المعية: أن الله معنا في كل وقت وحين.

قوام القرب: أن الله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد، أي أن نحيا بشعور أن الله مطلع حتى على ما في قلوبنا.

قوام الشكر: تثبيت شعور أن الله تعالى هو صاحب كل النعم في القلب.

قوام الصبر: النظر إلى المعاناة والابتلاءات على أنها مكفرات للذنوب رافعات للدرجات، وإظهار التحمل تجاهها.

قوام الرضا: هو فن نسيان الشكوى والتأفف أمام ظروف الحياة المتغيرة، ومفاجأتها الحلوة والمرّة، ومدها وجزرها. وإظهار الرضا للتقدير الإلهي وابتغاء رضا الله على كل حال.

بإيجاز، كلما استطعنا نحن المؤمنين أن نزين قلوبنا بهذه الخصال كلما كان حالنا وأعمالنا وأخلاقنا بلا شك نائلة لرضا الله.

نسأل المولى عز وجل أن يكرمنا ويحسن إلينا جميعاً بلطفه وكرمه بهذه الصفات القلبية. آمين!..



قال رسول الله ﷺ: "ألا وأنا حبيب الله ولا فخر".

[الترمذي، المناقب، ١/٣٦٦؛ الدارمي، مقدمة، ٨]

اتباع الحبيب الأعظم وسيلة الخروج من المحن

إذا كان الضيق في الحياة، فليس على الفقراء وحدهم أن يدفعوا ثمن ذلك، بل على الأغنياء أيضاً أن يفعلوا ما يستطيعون، ويتخلصوا من فكرة "أستطيع أن أفعل أي شيء بما أملك"، وهي فكرة فاسدة. لا بد من اختيار حياة تواضع واقتصاد بعيداً عن الإسراف والتفاخر، ولا بد من التقرب إلى مرضاة الله تعالى أمام الابتلاءات بالإنفاق أكثر في أيام الشدة والعسر. فأهل الله يولون الاستغفار والإكثار من الإنفاق أهمية في أيام الصعوبات المادية والمعنوية.

(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ. كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ. وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا. وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) [الفجر، ١٥-٢٠]

(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَكُفِّرًا) [الإسراء، ٨٣]

فهذه الآيات الكريمة تلفت الانتباه إلى أحوال الإنسان المختلفة مع اختلاف التجليات الإلهية، وتبين أن المالك الحقيقي لهذه

لا ريب أن الله تعالى الذي خلقنا أعلم العالمين بخلقه، فهو القائل في كتابه العزيز:
(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) [ق، ١٦]
وبين في موضعين آخرين كيف يتغير سلوك الإنسان ومعاملته بتعرّضه لأحوال مختلفة في حياته إذ قال:



التجليات هو المالك الحقيقي لهذه الحياة، وأن الله تعالى هو المالك والمدبر الوحيد لهذا الكون.

يقول الله تعالى:

(وَاللَّهُ يُبْضِ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة، ٢٤٥]

ويقول المفسر الماليلي في تفسير هذه الآية:

"إن الله يفتح باب الرزق ويغلقه، فيعطي الأفراد أو المجتمع عطاءً واسعاً حيناً، ولا يعطيهم حيناً آخر. فعلى الإنسان ألا ييأس في الضراء، ولا يقتصر في السراء، ويرغب في الخير في الحالين. ولا بد من إقراض الله سواء بالمال والنفس، أو بتحمل المشقات، وإن لم يجد الإنسان

شيئاً، فله أن يقرض الله قرضاً حسناً بقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، حتى تكون الخاتمة في سراء وسعة. ومهما فرَّ الإنسان، فهو راجع إلى الله لا محالة، فيُجزيه خيراً أو يُعاقبه".

لقد بعث الله تعالى سيدنا محمداً أسوةً حسنةً للناس جميعاً. وكان رسول الله ﷺ أسوةً بأن كان أولاً "عبداً" بأحواله في

جميع ما قدره الله تعالى عليه، ثم رفع بصفة "الرسالة" المجتمع الذي أرسل إليه إلى مجتمع ينال رضا الله تعالى. فكان هذا المجتمع الذي سُمي باسم "مجتمع السعادة" يقتدي أفراداً جميعاً برسول الله ﷺ. وقد بين الله تعالى في مواضع كثيرة أن السبيل الوحيد لمحبة ونيل رحمته هو بالاتباع التام لحبيبه، أي بتسليم القلب أولاً تسليماً تاماً ثم بالاقتران به في كل جانب من جوانب الحياة.

وتشهد صفحات التاريخ على وجود أوقات كانت فيه السعة واليسر في حياة الأفراد والمجتمعات، وأوقات ضاقت فيها الحياة. يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

(وَكُنُوزُكُمْ بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) [البقرة، ١٥٥]

ولا يكون النجاح في هذا الامتحان إلا باتباع خاتم الأنبياء. وقد اختار رسول الله ﷺ الحياة المتواضعة في حياته الخاصة، ولم يطلب يوماً أن يكون له ما لا يكون لأفراد المجتمع الذين يعيش بينهم، ولا أن يعيش عيشة مختلفة عنهم، ولما كان المسلمون في قحط، تعرَّض مع أهله للقحط أكثر من غيره، مع أن الله تعالى عرض عليه أن يجعل وادي مكة ذهباً له. ولكنه ﷺ تضرع إلى الله في جوعه، وحمده وأثنى عليه في شبعه، وبذلك لم يطلب حياة مميزة، ورضي بقضاء الله تعالى.

إذا كان الضيق في الحياة، فليس على الفقراء وحدهم أن يدفعوا ثمن ذلك، بل على الأغنياء أيضاً أن يفعلوا ما يستطيعون، ويتخلصوا من فكرة "أستطيع أن أفعل أي شيء بما أملك"، وهي فكرة فاسدة. لا بد من اختيار حياة تواضع واقتصاد بعيداً عن الإسراف والتفاخر، ولا بد من التقرب إلى مرضاة الله تعالى أمام الابتلاءات بالإنفاق أكثر في أيام الشدة والعسر. فأهل الله يولون الاستغفار والإكثار من الإنفاق أهمية في أيام الصعوبات المادية والمعنوية.

ومن حكم عيش رسول الله ﷺ في تواضع وزهد طوال عمره أنه كان دائماً في صحبة الفقراء والأيتام والأرامل والمشغولين بالعلم والعبادة من أهل الصُّفَّة. فكان هؤلاء المحتاجون يعيشون حياتهم بعون رسول الله ﷺ، وكان ﷺ يفكر بنفقة هؤلاء كما يفكر بنفقة أهل بيته انطلاقاً من مسؤوليته التي يقتضيها قيادته لدولة المسلمين.

فعلينا ألا ننسى حقيقة أن كل مسلم في أمة محمد مسؤول عن غيره مهما كان موقعه وحاله.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم.



كان رسول الله ﷺ أسوةً بأن كان

أولاً "عبداً" بأحواله في جميع ما

قدره الله تعالى عليه، ثم رفع بصفة

"الرسالة" المجتمع الذي أرسل إليه

إلى مجتمع ينال رضا الله تعالى

أود أن أكون "جوالاً" بيد والدي

ضع نفسك مكان الولد، فهل تحب أن تكون مع أب يطلب منك شيئاً دائماً، ويلقي عليك خطبة باسم النصيحة؟ دعني أسألك السؤال بطريقة أخرى لأنني أعلم الجواب: ما الشيء الذي يجده الولد في جواله ولا يجده بالجلوس معك؟

- حسناً، ومن يتكلم أكثر حين تتكلم مع ولدك؟
- أنا بلا شك.

- وعن ماذا تتحدثان؟

- عن نجاحه في دراسته بلا شك. عن ضرورة أن يدرس ويجهد لأن الامتحانات قريبة، وأنه إذا لم يدرس، فلن ينجح وسيندم في المستقبل، ولن ينفعه الندم حينئذ. وأتحدث عن ظروفنا في الماضي وظروفه الآن، وضرورة أن يستفيد من الإمكانيات المتاحة له الآن. أتحدث معه عن كل شيء يجب الحديث عنه بين ولد ووالده الذي يفكر بمستقبله.

- وهل يكون جوال بيدك وأنت تتحدث مع الولد؟

- نعم، ولا أكذب إذا قلت إنني أجيب عن الاتصالات والرسائل التي تأتيني خلال حديثي معه.

- وماذا تفعل معه برأيك؟

- أجلس مع ولدي وأناقشه.

- أرى أنك لا تجلس معه وتناقشه بل تنصحه وتلقي عليه خطبة.

- لا أدري يا أستاذي، ولكنني أحاول أن أفعل الصحيح وما أستطيع فعله من أجل الولد.

- هذا صحيح انطلاقاً من النية ولكن الطريقة ليست صحيحة، لأنك عندما تكون مع ولدك فأنت لا تناقشه بل تنصحه، وليس كل كلام مناقشة.

بينما كنت في ندوة في إحدى المدارس، قال لي ولي طالب له مكانة اجتماعية:

- يا أستاذي، لقد ترك ولدي دروسه تماماً، إنه يتصرف كأنه لا دروس ولا امتحان في حياته. ولا يخرج من غرفته. دائماً منشغل بجواله، ولا نراه إلا وقت الطعام. ولا يتكلم مع أحد حين يأكل، بل يأكل بسرعة ويعود إلى غرفته، فماذا تقترح علينا في هذا الأمر؟

فقلت: - وهل تستطيعون أن تجلسوا

مع الولد وتكلموا معه؟

- نعم يا أستاذ، يأتي إلينا حين ندعوه، فيستمع إلينا، ولكنه يطبق ما نقول له يوماً أو يومين ثم يعود إلى ما كان عليه.





ضع نفسك مكان الولد،
فهل تحب أن تكون مع
أب يطلب منك شيئاً دائماً،
ويلقي عليك خطبة باسم
النصيحة؟ دعني أسألك
السؤال بطريقة أخرى لأنني
أعلم الجواب: ما الشيء
الذي يجده الولد في جواله
ولا يجده بالجلوس معك؟

- هل تشرح لي أكثر؟
- حسناً: هل تحب أن تكون مع صديقك أم
مديرك؟
- مع صديقي بلا شك.
- ولماذا لا تفضل مديرك؟
- عندما أكون مع صديقي أتحدث معه
وأناقشه، ولكن مع مديري أستمع إلى أوامره
تحت ستار الاقتراحات.

- وهل تكون مسروراً عندما يدعوك مديرك؟

- كلا، إما أن يكون دعائي لعمل ناقص أو يريد عملاً
مني.
- أي إنك لا تُسرُّ بالذهاب إلى المدير أو الحديث معه.
- نعم تماماً.

- والآن ضع نفسك مكان الولد، فهل تحب أن تكون
مع أب يطلب منك شيئاً دائماً، ويلقي عليك خطبة باسم
النصيحة؟ دعني أسألك السؤال بطريقة أخرى لأنني
أعلم الجواب: ما الشيء الذي يجده الولد في جواله ولا
يجده بالجلوس معك؟

صدّقني لو أننا نعطي الولد الفرصة، لطلب منا ما يلي:
أن يمسك الوالدان بيده كما يمسكان الجوال.
أن ينظرا إلى عينيه كما ينظران إلى شاشة الجوال.
أن ينظرا في الصباح إليه أولاً قبل أن ينظرا إلى الجوال.
أن يعتنيا به كما يعتنيان بالجوال.
أن يقضيا معه وقتاً مفيداً كما يقضيان وقتاً أمام الجوال.
أن ينتبها إلى التغيرات فيه كما ينتبهان إلى التغيرات في
الجوال.

أن يهتمتا بنفسيته كما يهتمان عند شراء غطاء للجوال.
أن يهتمتا بمشاعره وأحاسيسه كما يهتمان بشكل الجوال
وجماله.

أن يهتمتا بتجنب كسر قلبه كما يهتمان بتجنب كسر شاشة
الجوال وشراء طبقة زجاجية تحميها.

أن يشعرًا بالحاجة إلى تغيير سلوكهما معه كما يشعران
بالحاجة إلى تغيير الجوال.

أن يتعرّفا إلى صفاته الشخصية كما يسهان لمعرفة
ميزات الجوال.

أن يعرفا عالمه وشخصيته كما يعرفان إعادة ضبط
المصنع في الجوال.

أن يُعجبا بجهوده كما يُعجبان بالمشاركات التي يرونها
في الجوال.

أن يشاركاه شيئاً كما يشاركان المنشورات في الجوال.

أن يردا على رسائل المحبة والاهتمام كما يردان على
الإعجابات والتعليقات على منشوراتهما في الجوال.

أن يضطربا حين تقل محبته لهما في قلبه كما يضطربان إذا
قلّ شحن الجوال.

أن يأتيا إليه ولو مرة ويقولوا له: "تعال يا ولدي
لنتناقش معك كما يتناقش الأصحاب" كما يجعلان من
الجوال تاجاً على رأسيهما ولا ينامان إلا وهو بجانبهما.

أن يستمعا إلى كلماته كما يستمعان إلى أي صوت
يصدر عن الجوال وينصتان إليه.

أن يُرياه الاضطراب الذي يشعران به حين يرن
جوالهما حين يعبر عن حاجته للحب والحنان.

والأهم من كل ذلك أن يُرياه اللين والظرافة
وحسن الكلام كما يفعلان عند حديثهما مع أصدقائهما
بالجوال.

الأستاذ د. أرغون يلدرم

الفلسفة

لا تنتج علمًا يفوق الزمن

إن الحرمان من الأمور الدنيوية لوقت معلوم. وأما الحرمان من الإيمان فهو سبب لحرمان أبدي، وهو الهم. إذن كم نفرح لنعمة دنيوية؟ وكم نفرح ونشكر الله على نعمة الإيمان التي تحملنا إلى السعادة الأبدية؟



فهيغل مثلاً يرى بأن نظريته في "وعي النفس والوعي من أجل النفس" نظرية صحيحة في جميع الأزمنة. وتحدث النظرية عن الحركة والتغير على هيئة تركيب ونقيض. ويدّعي بأن طريقة التغير هذه موجودة في جميع الأزمنة. ومن أشهر الفلاسفة الذين سعوا لجعل الفلسفة علماً وفكراً يُطبَّق في جميع الأزمنة الفيلسوف هايدغر. وهذا الفيلسوف الذي عاش حتى سبعينيات القرن الماضي كان له تأثير كبير في أيامه وما زال إلى يومنا هذا. حتى إن كتابه (الوجود والزمان) صار كالإنجيل للفلاسفة كتاباً مقدَّساً لديهم. فقد عاد هايدغر إلى ما وراء الطبيعة من جديد في كتابه هذا، ولكن ما وراء الطبيعة التي تحدث عنها لا تستلهم من الدين شيئاً. بل حاول أن يبقى في فكره العلماني ما استطاع. وقد بدأ هايدغر دراسته بمنحة دراسية من الكنيسة، ولكنه ترك الكنيسة. وسعى لاكتشاف طريق جديد بتطوير فلسفة جديدة وحده. فرأى أن الوجود والزمان طريقه، ولكن لا يوجد طريق ولا مخرج في كتابه

من أكبر التناقضات في الفلسفة أنها تسعى وراء علم الوجود والعلم الذي يفوق الزمن برّد ما وراء الطبيعة والوقوف على مستوى الطبيعة. يرفض الفلاسفة المعاصرون ما وراء الطبيعة قبل كل شيء. وهؤلاء الفلاسفة الذين يحملون فكراً علمانياً يحاولون أن يتفلسفوا بالحرص على البقاء علمانيين. ويتعدون عن وصف مسائل الوجود والعلم والأخلاق بدين يتجاوز حدود الطبيعة. لا بل يحاولون شرح أمور ما وراء الطبيعة بنظرة علمانية. فيصفون مثلاً الله ببقائهم في الدنيا، ومن أشهرهم الفيلسوف هيغل وفيورباخ. سارع فيورباخ إلى هيغل هارباً من الكنيسة والنصرانية تاركاً مدرسته، وتعلمذ على يده. وسعى لوصف الدين والله بفلسفته الأثنوبولوجية. يحاول الفلاسفة أن يصفوا الطبيعة وما وراءها بهذه المقاربة الفلسفية، ويشمرون عن سواعدهم من أجل فهم كل شيء على مستوى الطبيعة، ولكن العجيب أنهم يحملون بجعل الفلسفة فكراً وعلماً يشمل جميع الأزمنة.

في الأصل. فهو في كتابه لا يسأل سؤال الفلاسفة المعتاد: "ما الوجود؟" بل يسأل: "ما معنى الوجود؟" وهذا أمر جديد مهم، ولكنه ظل يدور ولم يجد الجواب، وظل يجول بمصطلحات مجردة تأملية.

يشرح كتاب (الوجود والزمان) البحث عن زمان عالمي فوق الدنيا بواسطة الفلسفة. وأراد هايدغر أن يُري الحقيقة في أساس الوجود بواسطة الفلسفة ويزمان عالمي. فتحدث عن الموت، وعن القلق، وعن المعنى، وعن الزمان... وذكر أن الأرض مصادفة، وذكر الدفن في الأرض... والوقت، ومعنى الزمن... ولكنه لم يستطع أن يجيب قط عن السؤال الذي طرحه أولاً. ووصل إلى نتيجة أن معنى الوجود الحوادث داخل الزمان. ولكن أين معرفة الحقيقة؟ كان سعيًا بلا طائل! فالزمان شيء عالمي يفوق الأرض والإنتاج والمجتمع وحتى الإنسان. فالزمان مثل الإله. ويصبح الزمان شيئًا ما وراء الزمان. ويجاول أن ينتج مفهومًا عالميًا مجردًا عن الزمان على أنه شيء من كل عصر ومن كل مجتمع ومن كل تاريخ ومن كل دين.

وهذا أعظم تناقض لدى الفيلسوف! فإذا كان علم الفلسفة علميًا دنيويًا طبيعيًا، فكيف يضع هذا العلم معنى للزمان خارج المجتمع والسياسة والإنتاج؟ كيف تستطيع الفلسفة أن تضع مثل هذا المعنى والمفهوم للزمان من غير أن تعتمد على ما وراء الطبيعة؟ فهذا موقف مناقض تمامًا لموقف الفلسفة المعاصرة. كان هايدغر مناقضًا للفلسفة المعاصرة. إن أنثولوجيا الزمان التي تفوق المادة والدنيا لدى هذا الفيلسوف الذي تناقض فلسفته الفلسفة يعبر عن تناقض كبير مع الفلسفة المعاصرة، لأن الفلسفة المعاصرة تفسر الوجود والعلم والفعل وغيرها من المفاهيم بحصرها في الدنيا تمامًا. فقد قال إن العلم يُولد من التاريخ، وهذا يعني أن التاريخ يُولد من أفعال الإنسان، فالزمان أيضًا نتاج التاريخ، وهو مرتبط بمفاهيم مثل الطبقة والمجتمع والإنتاج. وكلما تغيرت مجالات التاريخ وكثرت، تغير الزمان وكثر. فكيف يضع هايدغر مفهومًا للزمان يفوق الزمان نفسه؟ وقد نقد عالم الاجتماع بيري بورديو في هذا الشأن كثيرًا.

إن الفلسفة لا تُنتج حقيقة تفوق الزمان، لأنه نفسه مدفون مباشرة في الزمان، وفي أزمنة مختلفة... والفلسفة المعاصرة مدفونة في الأزمنة المعاصرة. فهي تُولد من هذا التاريخ، وتحمل صفات التاريخ. الثورة الصناعية، ومفهوم الدولة، والحرية الفردية، والمستحيل والمستقبل، والرأسمالية... وقد وضع سبينوزا الجانب الأخلاقي لهذه المفاهيم، فأنشأ الأخلاق على أسس مادية توافق المادية المعاصرة. وكما قال علي عزت بيغوفيتش لم تؤدبه الكنيس اليهودية عبثًا، فاليهود يرون سبينوزا خارجًا عن الدين. مع أن سبينوزا صمّم الأخلاق بصورة توافق العالم المادي في قوالب فلسفية معاصرة توافق نظرة اليهود المادية إلى الحياة.

تحاول الفلسفة أن تحل محل الدين وراء الطبيعة في مجتمعات الغرب التي لم يعد فيها للدين شأن، فتسعى لإنتاج المعرفة من أجل ذلك، وتفسر الوجود، وتتكلم بأشياء لا زمان لها وتفوق الإنسان والمجتمع. ويتم تناقل كلمات الفلسفة مثل آيات القرآن، ويجاول الناس أن يجدوا هنا الطريق لأنفسهم واكتشاف الصواب. مع أن هذه الأفكار تمامًا قوالب الفلاسفة وظهرت من تفسيراتهم وتجاربهم في أزمنتهم، وتعكس اضطرابات واضطرابات أزمنتهم. وهكذا حال نيتشه، فقد أضاع صحته تمامًا في هذه الاضطرابات.

إن الفلاسفة المعاصرين شخصيات تربت في تاريخ



(زمان) أوروبا المعاصرة، وأنشؤوا أفكارهم لفهم هذه المسائل التاريخية. وفلاسفة الوقت المعاصر يترنمون بأوقاتهم المعاصرة. والموضوعات مثل التغرب، والخوف، والسلطة، والإله، والبعد عن الوطن، والاختلاف، والحركات

كلها وُلدت من هذا الزمان. وتمثل إنسان الغرب وحياة الغرب. وإنه لتناقض عظيم أن يقدم مثل هؤلاء الفلاسفة أفكارهم على أنها تنطبق في كل زمان ويتجاهلون الحقيقة.



الأستاذ المساعد د. فرات أردوغان

الألم نعمة أيضاً

ربما لا يمكن ذكر "الألم" الذي يعد موضوعاً كبيراً له علم خاص في مجلة أو كتاب، وليس هدفنا إلا أن نرشد إلى كيف علينا أن ننظر إلى الألم. ذكرنا من قبل أن السعال نظام إنذار أكثر من كونه آلية حماية. والمسألة الأساسية هنا صفة الإنذار نفسها. عندما تتعب في اليوم، يؤلمك رأسك، فتنال علاجاً مسكناً. استيقظت في الصباح: "يؤلمني رأسي ألماً لم أشعر بمثله من قبل..." إياك، احذر. الاحتمال الجيد هو وريد قد ينفجر، ولا داعي لذكر الاحتمال السيئ.



منطقة بطن الصغير ومنطقة رجليه إلى ركبتيه. يلفت انتباهكم الأجسام اللامعة. مسمار، وصفيحة، وبرغي وغيرها... ومكبسة في الخارج.

ماذا كل هذا؟

اتصل بي صديق كرّس حياته لعمل الخير من أجل أسرة مهاجرة محتاجة، وقال لي: "الولد يعاني من مرض، إنه لا يشعر بالألم".

وكان ذلك عجباً حقاً لرجل قضى حياته مع أناس يتألمون لأسباب عدة. الرجل لا يشعر بالألم، فما أحسن ذلك!... لا علاج لتخفيف الألم، ولا قلق في الليالي من أجل النوم. ولا داعي للطبيب والمستشفى والتحليل... ولا تأخر عن العمل. فقلت: نعم، هذا صحيح، ولكن النتيجة ليست كما تتوقعها...

هل تتساءلون عن النتيجة؟ انظروا إلى الشكل ١.



إنها صورة لتصوير شعاعي. ماذا ترون فيها؟

أدوات طبية تُستعمل من أجل جمع العظام التي
تُكسّر وتُفَتَّت دائماً وفي الخارج أدوات للتخطيط.
التشخيص: عدم الشعور بالألم من الولادة.

مرضٌ لا يُعرَف سببه، ولا العدد الكامل للمصابين
به. ويُذكر أن المصابين به عددهم بين ٣٠٠ و ٥٠٠
مريض مع الدرجات الأقل منه.

ولا علاج لهذا المرض مع الأسف.
والأسوء من ذلك أنه يصاحب مشكلات أخرى.
مثل حركات الضرر بالجسم.

وقد سمعتم عن مرض قضم الأصابع، هكذا يبدأ
المرض معهم ولكنه ينتهي بقضم الأصابع كلها. ولم
يستطع مريض أن ينتبه إلى أنه يعض لسانه، فلمّا ذهب
إلى عيادة طبيب الأسنان، أدرك بأنه أكل النصف
الأيسر من لسانه تماماً.

لا شك أن الله لم يخلق الألم عبثاً. إذا قُرِعَ بابكم في
وقت غير متوقَّع أو حاول أحدهم فتحه، فإن صفارة
الإنذار تعمل، فيُسمَع صوت مرعب يوقظكم ويوقظ
الحي بأكمله. فهذا الضجيج مزعج ولكنه نعمة في
الوقت نفسه. والفائدة الأساسية للألم هو هذا أيضاً.

هل تتخيلون أن المصاب بهذا المرض تُكسّر قدمه
فلا يشعر ولا يعلم. وبعد أن يخطو بضع خطوات،
يتكسّر العظم، فيبدأ بالعرج، فينتبه إليه من حوله.

إن الألم الحاد لمرض ولو كان صغيراً يحملكم إلى
الطبيب فوراً على الرغم من أنه لا يستدعي التدخل
العاجل، فيُعالَج بالدواء أو الجبيرة، ثم تجدون الشفاء
بإذن الله.

علم الإدراك

ينتهي طريق كثير من الناس الذين يعانون من
الأمراض من دسك الظهر إلى أنواع السرطان الحديثة
إلى باب مُعلّق عليه العبارة السابقة.

وربما لا يدركون في البداية فيتساءلون أين هم.

علم الألم.

ربما لا يمكن ذكر "الألم" الذي يعد موضوعاً كبيراً
له علم خاص في مجلة أو كتاب، وليس هدفنا إلا أن
نرشد إلى كيف علينا أن ننظر إلى الألم.

ذكرنا من قبل أن السعال نظام إنذار أكثر من
كونه آلية حماية. والمسألة الأساسية هنا صفة الإنذار
نفسها. عندما تتعب في اليوم، يؤلمك رأسك، فتتناول
علاجاً مسكناً. استيقظت في الصباح: "يؤلمني رأسي
ألماً لم أشعر بمثله من قبل..." إياك، احذر. الاحتمال
الجيد هو وريد قد انفجر، ولا داعي لذكر الاحتمال
السيئ.

والألم لا يكون مأساوياً دائماً هكذا. قد يستمر الألم
من ثلاثة إلى خمسة أيام بعد لعب كرة قدم. ويكون
السبب النسيج الناعم عموماً. ولكن إذا استمر الألم
وأعاقك عن عملك اليومي، فقد يكون تمزق أربطة
وأموماً أخرى قد توصلك إلى إجراء عملية.

ولكن كيف نستطيع أن نميِّز الآلام؟ هل نصبر أم
نذهب إلى المستشفى؟

ليس بين أيدينا جواب واضح مع الأسف. يمكننا أن
نسأل طبيب الأسرة القريب من الحي لو أننا لم نهك
النظام الصحي.

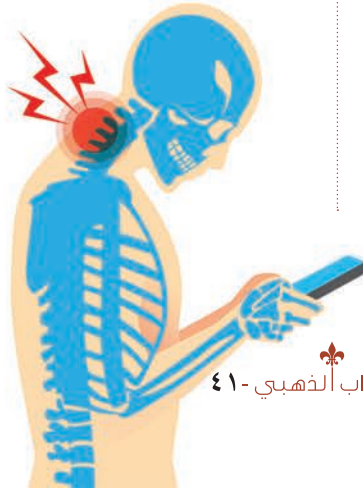
ماذا علينا أن نفعل؟

إذا كان الألم يعيق حياتنا اليومية وأنشطتنا، وكان
معه شكاوي أخرى بحسب العضو المتألم، فمن
الأفضل أن نستشير طبيباً.

لنكرّر الرسالة من هذه المقالة:

علينا أن نلفت انتباهنا
إلى الألم، فهو قد يزول
بشرب حبة دواء وقد
يجعلنا نتناول حبوباً.

دتمم في صحة وعافية.





الإسلام والحياة

أدم أرغول - نور الدين يلدز

مَنْ يَبْقَى وَحِيدًا يَمْسِي طُعْمًا لِلشَّيْطَانِ

نور الدين يلدز: في البداية لدينا حقيقة

مهمة لا بد أن نقبلها. إننا موجودون في هذه الدنيا كي نحيا، ولكن الموت قبل الحياة في قدر الدنيا. فقد قال الله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [المك، ٢٠] فذكر الموت قبل الحياة في هذه الآية. لماذا؟ لأننا أتينا من عدم. أي لم نكن، ثم كنّا.

ولا نستطيع أن نتخيل الدنيا وليس فيها إلا الخير والجمال والحسنات كما أننا لا نستطيع أن نتخيل الدنيا بلا موت. لماذا نقول عن الظلام ظلام؟ لوجود النور. لماذا نقول عن النهار نهار؟ لوجود الليل. فالله خلق مثل هذا النظام، ولن تكون دنيا بلا شر وبلا فساد.

أدم أرغول: فالحقيقة التي نقبلها أنه لا دنيا بلا شر تمامًا. فهذا لم يكن بالأمر، ولا اليوم، ولن يكون في الغد. **نور الدين يلدز:** لم يكن ذلك منذ خلق الله تعالى سيدنا آدم، ولن يكون اليوم. ولم تكن الدنيا بلا شر في المدينة المنورة وفيها رسول الله ﷺ سيد الكونين. لم يغب الشر على الرغم من جميع أدعيته الجميلة من فمه المبارك، فلماذا؟ وتمنينا أن تكون الدنيا بلا شر، يعني أننا نتمنى ألا نكون. لماذا الصلوات الخمسة حياة؟ لوجود خطر ترك الصلاة. إننا نقول إن الصلاة حياة لأننا نرى عاقبة ترك الصلاة. فإذا أدركنا أين نعيش أولاً، فستكون مجادلتنا الشرّ أعظم تأثيراً. أي إن المسلم الذي يكون في عالم الخيال لا يفهم



أدم أرغول: نجد اليوم يا أستاذي أفراداً أو جماعات يمكن أن نسميهم "شبكة إفساد" جعلت معاداة الحق والحقيقة مسلكها وشغلها الشاغل. وهؤلاء يسعون لنشر الفساد بنشر فيروسات بين النسل في المجتمع، وفي حياتنا الأسرية، وأذهاننا وقلوبنا.

وعلى كل مؤمن أن يكون له موقف واضح من المنكر أي كل شيء لا يرضى عنه الله ورسوله. فالفرد عليه أن يمنع المنكر، أن يغيّره بيده، ويعبّر عن الحق بلسانه، فإن لم يستطع فعله أن يبغض المنكر في قلبه. ولكن ما يستطيعه الفرد اليوم في مواجهة المنكر يبقى قليلاً. وهناك أمر آخر يعلمه الجميع، وهو أننا نجد في التاريخ فئة صغيرة قد غلبت فئة كبيرة. والله تعالى قال في كتابه العزيز:

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [المائدة، ٢].

فماذا علينا أن نفعل نحن المؤمنين كي نواجه حركات الإفساد؟

شيئاً. علينا أن نبحث عن "أين الخير؟" ليكون دافعاً لنا للإصلاح حيث يعم الفساد والسوء والشر. وهذا واجبنا، فنحن لا نتوجه إلى الزوائد والنواقص بل إلى أنفسنا.

فإذا كنت أعلم بأنني صالح وبأن الخير حولي، وكانت فكرتي هذه حقيقة وصداقة، فإنني سأجد نفسي في حركة دائماً. أي أبدأ بنفسي، وأجعل أولويتي بمنطق موجّه إلى المجتمع "الخير" و"الإصلاح" والجنة ورضا الله. وعندئذ لا يؤذيني الشر.

آدم أرغول: يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) [المائدة، ١٠٥]

نور الدين يلدز: هل أنتم قائلون مستعدون؟ والجواب الأول الذي لا بد منه عن سؤال: "ماذا أستطيع أن أفعل؟" هو "قُمْ". يكفي ألا تيأس. لأن الله قد بين الجنة والنار لكل من تراه شيئاً. فهو قد اختار النار.

آدم أرغول: في الآية التي ذكرتها قبل قليل يقول الله تعالى: (عليكم أنفسكم). ويقول في الآية نفسها مخاطباً المجتمع كله: (يا أيها الذين آمنوا). فنفهم من هذه الآية أننا إذا حفظنا فكرتنا وحميناها وعملنا لتحقيقها، فلن يضرنا الضالون ما دمنا على الصراط المستقيم.

نور الدين يلدز: ونستطيع أن نفهم من هذه الآية أنه إذا كنتم قائلين، فلا تخشوا من الجالسين. فإذا كنتم من الجالسين، فأنتم في شديد الخطر.

آدم أرغول: وهذا يعني أن مسؤولية المؤمن في البداية أن يكون سليم البنية أولاً، وهذه مسؤوليتنا الأولى.

نور الدين يلدز: على المؤمن أولاً أن يفكر كيف يحمي بنيته ليبقى قائماً، كما أننا لا ندخل قبر من مات بمرض معد، وكما يرتدي الطبيب الكمامة ويستعمل آلات الوقاية قبل معالجة مريضه.

إنني أقول لأخي الذي يقلق من تربية أولاده ويسأل عما يعلمهم وفي أي مدرسة أو معهد يعلمهم، قل: بسم

الله الرحمن الرحيم! أي ابدأ باسم الله. ثم طبق استراتيجية تنعدم فيها الفيروسات حتى يصل الصغير إلى الخامسة من عمره حين يبدأ بمعرفة الحياة حوله.

كيف يكون برنامج حجاب ابنتك الصغيرة مثلاً؟ عليك أن تبعداها عن الأقارب الذين لا يرتدون الحجاب، لأن ذلك أهم من فرض الخمار عليها. فإذا وضعت الغطاء على رأسها كما تضع الغطاء على السرير، ولم يتغط قلبها، فإنها لا ترتدي الحجاب أو تخلعه بعد ارتدائه ما إن تشعر بأنها خارج سيطرتك. لذلك أبعد الصغيرة عن كل سلمي، لأن الله خلقها على فطرة إيجابية. فالصغيرة في عمر الخامسة مثل الملائكة. أي إننا من نصيها بالشر. واليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة تُفرض عليها لاحقاً كما في الحديث الشريف، وإلا فإن فطرتها سليمة. فأعظم تربية نربها للصغير أن نبعد أولاً عن الشر، ففطرته دائماً مستعدة لقول: "الله، الله".

آدم أرغول: الدين في الفطرة.

نور الدين يلدز: نحن طاهرون في

الأصل. نحن بنو آدم الطاهرون.

ونتسخ بأخطاء الوالدين، وأخطاء

المعلمين، والبيئة، والسياسة، وبؤر الشر في البلد

وفي أنحاء العالم، وكلها تهجم علينا دائماً. ونحن عندما

يُقبض علينا من نقاط ضعفنا في هذا الهجوم، فإننا نستسلم.

لذلك إذا أردنا أن نبني مشروعاً سليماً، فهذه الدنيا

حقيقة. إننا نؤمن بعظمة الله تعالى وقدرته على الخير والشر،

ولا نعتقد بأنه يعطي الخير وهو القادر على الخير فقط، وأن

الشر من الشيطان ولا يستطيع الله أن يمنعه، والعياذ بالله.

فلله تعالى قدرة على الخير والشر، والحسن والقيبح. نحن

لسنا وحدنا في هذه الدنيا، فثمة جيش من الشر يسير وراء

إبليس. ولن يكون هناك تميز تام إلا في الجنة والنار يوم القيامة.

آدم أرغول: وعندما يكون الحال هكذا، يكون

المسلمون في ضعف حين يكونون فرادى من أجل بقائهم

على الطريق الصحيح، فماذا نفعل عندئذ؟



نور الدين يلدز: أولاً إن مؤسساتنا الطبيعية وجمعياتنا الفطرية هي المساجد. والمساجد أوقاف من حيث الناحية القانونية. وهي تجمعنا بوصفها وقفاً. لذلك فإن الجمعية التي يشترك فيها كل مسلم بوصفه عضواً فيها هي المسجد. وعلاقتنا بالمسجد يجب أن تكون في الأسبوع واحد على سبعة على الأقل. فإذا أهملنا المجيء إليه ثلاث مرات، فسُطرد.

آدم أرغول: هلاً توضّح لنا عبارة واحد على سبعة.

نور الدين يلدز: إننا نذهب إلى المسجد للاجتماع

الأسبوعي الإجباري مرة على الأقل وهو يوم الجمعة. فإذا لم يذهب المسلم إلى صلاة الجمعة ثلاث مرات متتالية، فيُقال له: "أذهب حيث شئت". فعصويته قد أُلغيت. فجمعيتنا الطبيعية بوصفنا أمة أي مسجداً يجمعنا.

آدم أرغول: إن للمسجد الذي يُعد جمعية طبيعية لنا وظيفة وهي حمايتنا وحماية مجتمعنا.

نور الدين يلدز: المسجد بذرة لنا، المسجد دليل لنا. وهو يحيط بنا من كل جانب.

آدم أرغول: المسجد مؤسسة تحمي مَنْ يأتي إليها وتراقب مَنْ لا يأتي، وتشر الفضيلة والإحسان.

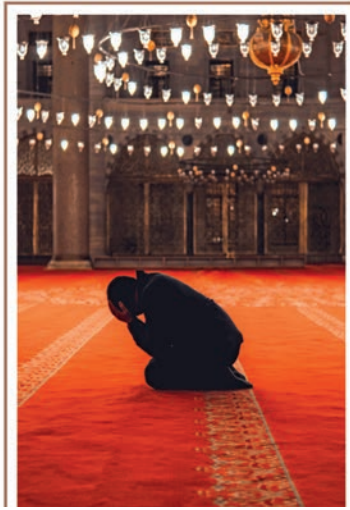
نور الدين يلدز: المسجد محور إسلامنا وإنسانيتنا في كل الأحوال. فنحن نقوّي إسلامنا دائماً فيه، ونجعله حيّاً في نفوسنا. وبذلك نشحن إنسانيتنا.

آدم أرغول: المسجد له دور أساسي في صلاح المسلم وإصلاح المجتمع. والصلاة تحفظ المصلّي وتحمي المجتمع في الوقت ذاته.

نور الدين يلدز: ونحن لدينا عضوية طبيعية في المسجد، ولكن بسبب الاختلاف في العلاقات الاجتماعية التي حدثت في هذا العصر، نقول إن على المسلم أن يكون تحت سقف جمعية أو وقف. أي يجب على المسلمين أن يجتمعوا في مكان آخر خارج المسجد، وقد يكون هذا المكان وقفاً أو جمعية أو مؤسسة أو سمّها ما شئت. والإنسان في الوقت ذاته له عمله، فإذا لم تكن هناك رابطة تجمع التجار مثلاً، فلن يكون لهم تأثير في السوق. لذلك نجد الاتحادات والرباطات في التجارة والصناعة والفن وسائر المجالات الأخرى. أي علينا أن نرى الجمعيات والأوقاف مراكز تجتمع فيها أفكارنا وتوقعاتنا وإسهاماتنا ومشاركاتنا. يجب أن تكون لنا أرضية مشتركة لنستفيد مما أكرمنا به الله تعالى وكى لا نكون مسلمين عاطلين لا رأي لهم ولا فكر.

آدم أرغول: وعندما تتحد الإمكانات ويتساند الناس، فهذا يجذب رحمة الله، فتزيد قوة الإنسان وتأثيره. فليس ١+١ = ٢، لأن الاجتماع في مثل هذه الأطر يجعل ١+١ = ١١. لذلك من الضروري وجود وسط يجتمع فيه المسلمون من أجل صلاح الفرد وإصلاح المجتمع.

نور الدين يلدز: ولكن علينا أن نكون هنا كما نكون في المسجد، فإذا بقيت وحيداً، سأكون طعماً للشيطان. وإذا لم أكن طعماً للشيطان، فسأكون مثل الثلجات التي تذوب، فألقى الضرر. لذلك أنا لدي مهارة ولو كانت صغيرة، أنا على الأقل في مثل هذه الجمعيات أرفع يدي وأزيد من عدد الحاضرين. فإله لم يخلق أحداً صفرًا حاشاه. لذلك لكل إنسان شيء يستطيع أن يسهم به.



إذا بقيت وحيداً، سأكون طعماً للشيطان. وإذا لم أكن طعماً للشيطان، فسأكون مثل الثلجات التي تذوب، فألقى الضرر. لذلك أنا لدي مهارة ولو كانت صغيرة، أنا على الأقل في مثل هذه الجمعيات أرفع يدي وأزيد من عدد الحاضرين. فإله لم يخلق أحداً صفرًا حاشاه. لذلك لكل إنسان شيء يستطيع أن يسهم به. نعم، قد يكون لدينا طاقة واحد من مليون، ولكن الملائكة تكتب هذا. فإذا كانت الجمعية كما يُفترض على المسلم، فإنها تُسجل في صحائفنا عبادةً إن شاء الله.

نعم، قد يكون لدينا طاقة واحد من مليون، ولكن الملائكة تكتب هذا. فإذا كانت الجمعية كما يُفترض على المسلم، فإنها تُسجّل في صحائفنا عبادَةً إن شاء الله.

آدم أرغول: وكيف تكون الجمعية كما يُفترض على المسلم؟

نور الدين يلدز: أولاً الشفافية، أي لا تكون جمعية فيها نفاق، ويبدو فيها شيء ويُخفى شيء آخر. أي يكون فيها كما دُكر في سند تأسيسها. فإذا أسسنا جمعية أو وقفاً على أساس أننا وقف لحماية نسل الأسماك، ثم صرنا ندرّس الطلاب

في هذا الوقف، فهذا لا يجوز. لماذا؟ لأننا بذلك نغش المسلمين. ويظنون أننا نوّدي أبحاثاً عن السمك، ولكننا نجتمع المال من أجل إرسال الأولاد إلى إنكلترا، هذا لا يجوز. ولكن يجوز أن نرسل الطلاب ليدرّسوا دكتوراة تتعلق بالأسماك. ونسجل ذلك في سند الوقف، ونبين أن هذا مجال عملنا. وخلاصة الكلام أن الأمر الأول هو الشفافية.

وأما الأمر الثاني أننا لا نستطيع أن نؤسس جمعية أو وقفاً أو نعمل أي عمل بأن نستحل ما حرمه الله ولا نوّدي فرضاً من فروضه. كأن ندفع مبلغ استئجار بناء الوقف من الربح من تجارة حرام قائمة على الربا، فلا نستطيع أن نقول عن هذا أنه وقف أو جمعية... وكأننا بذلك نتوضأ بالبول.

آدم أرغول: أي يجب أن يكون العمل مشروعاً.

نور الدين يلدز: يجب أن يكون قانونياً ومشروعاً، وثمة أمر في موافقة العمل للشريعة، قد تكون مثلاً بضع نقاط لا توافق الشريعة مئة بالمئة في النمسا، والملائكة تعرف إن كان الأمر

كان ضرورة أو اختياراً، فلا أحد يقلق في هذا الأمر. فإذا كان ضرورة ولا خياراً آخر، فالله غفور رحيم. ولا أحد يشك في عدل الملائكة في معرفة إن كان الأمر ضرورة أو اختياراً، فهم لديهم شفافية ويكتبون.

وأما الأمر الثالث ألا يكون تأسيس الوقف أو الجمعية سبباً لتغيير عظيم في أعمالنا المهمة وأوليّاتنا. فعلى كل إنسان مثلاً ألا ينسى أن أسرته التي وضعها الله أمانة لديه أهم من جميع أعمال الدنيا.

فإذا كان عملاً الوقف أو الجمعية يجعلني أهمل زوجتي

وأولادي، فهذا يعني أنني لم أفز بشيء، لأنني سأسأل عن أولادي يوم القيامة. ولزوجتي وأولادي حق عليّ. فلا يجوز أن أكون نشطاً في عمل الوقف أو الجمعية وأهمل أسرتي في الوقت نفسه. فنحن من أمة محمد، لدينا مشاريع عظيمة عظم الكون، ولكن الكون قائم على بيتنا.

آدم أرغول: إذا هُدم البيت، انهارت الدنيا.

نور الدين يلدز: أولويتي بيتي

وزوجتي وأولادي. وأما الأمر الرابع فيجب أن يكون همناً أمة محمد. فلا نستطيع أن نأخذ جماعة من أمة محمد ونترك الباقي. إذا أقمنا مثلاً جمعية بوصفنا من المتتبعين إلى التصوف السليم، ونريد أن نحبي ثقافة التصوف. فلا نستطيع أن نقول إن التصوف مجالنا ولا نريد شيئاً غيره، لأننا أمة، فنحن نستقبل العاصي والتقّي، والمصلي والتارك للصلاة. ولا إله إلا الله محمد رسول الله شعارنا. هل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة: أخرجوا العصاة من بيننا وليق الأطهار مثل الملائكة؟ ألم يكن هناك من عصى في المدينة؟ بلى. وقد لامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يُعدهم



كيف يكون برنامج حجاب ابنتك الصغيرة مثلاً؟

عليك أن تبعدها عن الأقارب الذين لا يرتدون الحجاب، لأن ذلك أهم من فرض الخمار عليها. فإذا وضعت الغطاء على رأسها كما تضع الغطاء على السرير، ولم يغطّ قلبها، فإنها لا ترتدي الحجاب أو تخلعه بعد ارتدائه ما إن تشعر بأنها خارج سيطرتك.

لذلك أبعد الصغيرة عن كل سلبي، لأن الله سبحانه وتعالى خلقها على فطرة إيجابية.

عنه. وكذلك يجب أن يكون الوقف أو الجمعية التي نقيمها. فوقفنا لا يطرد أحداً من بابه.

وأما الأمر الخامس فهو ألا يكون الوقف أو الجمعية سبباً لسمتنا.

آدم أرغول: أي يجب ألا يكون مكاناً تتغذى فيها نفوسنا.

نور الدين يلدز: إننا نقول عن هذا في عصر الحداثة: الحرفية. قد يكون المال على شكل سيطرة أو منفعة. فقد يكون أحدنا مثلاً حديث وسائل الإعلام دائماً بفضل الوقف أو الجمعية. وقد لا يأخذ المال أجراً، ولكنه يستعمل الوقف أو الجمعية وسيلةً لتماذي نفسه. وهذا لا يجوز. وقد لا نجمع بين الجمعية ورضا الله تعالى، فيذهب أحدهما، أي تزيل الشهرة رضا الله.

وأما الأمر السادس فهو أن نعمل عملاً علمياً.

آدم أرغول: أي ليس اعتباطاً.

نور الدين يلدز: إذا أقمنا جمعية باسم "جمعية محبي التصوف" مثلاً، فسنديرها بإرشاد المتصوفين واستشارتهم. يقيم اثنان من التجار جمعية محبي التصوف، وليس لهما علاقة بالتصوف لا من قريب ولا من بعيد، فيجب أن يكون اسم الجمعية حنيئذ: "جمعية محبي التصوف على الرغم من أنه لا علاقة لهم بالتصوف". ولكن بالاسم الأول يظن السامع أن المؤسس من طلاب عبد القادر الجيلاني المجازين. أي يجب ألا ينحصر العمل بالكلام فقط.

ولنفرض مثلاً أننا نؤسس جمعية باسم "علوم الشريعة"، فلا بد أن تكون الجمعية مكاناً يُنصت فيه لكلام أهل تلك العلوم، ويكونوا في لجنة الاستشارة في الجمعية. وإذا أسسنا جمعية لها علاقة بالصحة، فلا بد أن يكون فيها أطباء. وحتى أمين السر فيها يجب أن يكون ممن لهم علاقة بالصحة. وإلا

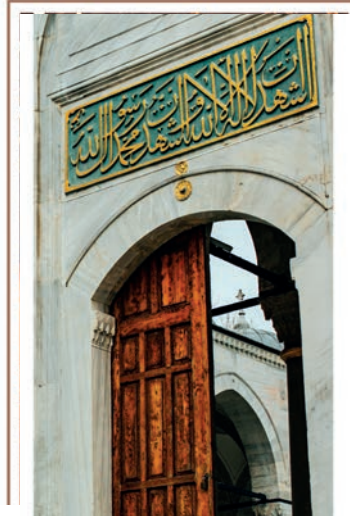
كنا في جمعية مضللة يختلف اسمها عن عملها، وهذا يعني غياب الصدق. فليس من المهم إن كانت الجمعية دينوية أو أخروية، أو كانت تتعلق بالعبادات أو الأمور الحياتية، بل المهم أن تؤسس على هذه الأمور الستة. ونحن بإذن الله نجاهد، لأن الجهاد اليوم يقتضي هكذا.

إن الأعداء اليوم يحتلون البلدان بالدخول بهذه المؤسسات والمنظمات المدنية قبل الدخول بالبنادق والمدافع والدبابات. وعندما يأتون بالدبابات، يصفق لهم شباب ذلك البلد. فالعدو قد أرسل الجمعيات قبل الدبابات، فأفسد بها الرجال والنساء، والشباب والبنات، وأفسد المجتمع كاملاً. ونحن عندما نؤسس جمعياتنا فإننا نجاهد العدو بإذن الله، ونؤدي ما علينا من مسؤوليات.

ونقطة أخرى أريد أن أشير إليها هنا أننا إذا أسسنا جمعية محبي الأسماك، فلا نحارب جمعية آكلي لحوم البقر. (وأنا أسمى الجمعيات بهذه الأسماء كي لا يُساء الفهم وتكون سبباً للفتنة). نحن سنؤدي أعمالنا، وهم سيؤدون أعمالهم، تماماً مثل العمل في المستشفى، ففيها أقسام مختلفة، قسم العيون، والأسنان، والأذن. جميعها تُسمى مستشفى. وعلينا أيضاً ألا ندخل في مجال السياسة ولا نختلط بأمور الدولة ونراعي هذا الجانب.

آدم أرغول: نعم لا نختلط بأمور الدولة، ولكن إذا كانت الدولة تقوم بأعمال نافعة في مجال محدد، فقد نضطر لأداء مشاريع مشتركة أحياناً.

نور الدين يلدز: إننا لا نؤدي أعمالنا في الفضاء ولا تحت الأرض. فإذا كنا نؤدي أعمالنا على الأرض، فلا داعي للنزاع مع الدولة الحاكمة. في ألمانيا مثلاً كان نشاط جمعية



إذا أقمنا مثلاً جمعية بوصفنا من المنتسبين إلى التصوف السليم، ونريد أن نحیی ثقافة التصوف. فلا نستطيع أن نقول إن التصوف مجالنا ولا نريد شيئاً غيره، لأننا أمة، فنحن نستقبل العاصي والتقي، والمصلي والتارك للصلاة. ولا إله إلا الله محمد رسول الله شعارنا.



عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ:

«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه»
(مسلم، الدعاء، ٣٨/٢٦٩٩)



فيها سبباً لإسلام خمسين شخصاً. والدولة هناك لا تسأل لماذا أسلم هذا العدد من مواطنينا، ولكنها إذا كشفت أنك استلمت مالا من غير إيصال، فإنها تحاسبك. فلا داعي لهذا الأمر. لا داعي لمخالفة القانون. أي إن المسلم الطفيلي ليس مسلماً فيه خير. والمسلم المتملق ليس مسلماً فيه خير. أي لا داعي لجمعية تحتفل بعيد رأس السنة الميلادية قبل القسيس نفسه. فنحن نزرع أزهارنا في الحديقة التي يؤذن لنا بزرع أزهارنا فيها بشفرة وكرامتنا.

لدينا هيئة استشارية، فعلينا أن نراعيها رعاية جدية. ونحن نعلم كيف نتراجع إذا كنا على وشك الذوبان في المحيط الذي نحن فيه. إذا صرَّح وقف من أوقاف العلوم الإسلامية في موضوع له علاقة بالمهندسين، فهو حينئذ يذوب. فنحن موجودون حيث يكون اختصاصنا، ونكمل عملنا حتى في المكان الذي لا يُعرف فيه قيمته.

آدم أرغول: أي إننا بوصفنا مسلمين سنكون صالحين أي نراقب أحوالنا دائماً كي نزيل عيوبنا، وسنكون مصلحين أي سنبنى المساجد ونبنى بها حياتنا. وإذا كنا لا نستطيع أن نعيش الإسلام في جماعة في مجتمع ما، فسنجتمع تحت سقف مؤسسات مثل الأوقاف والجمعيات مهما كان مجالها بقصد نشر الفضيلة وإزالة الرذيلة. ويجب أن تكون في الأوقاف أو الجمعيات شفافية ويجب أن تكون مشروعة صادقة ولا تنفصل عن القيم وتكون عنصرًا متممًا. يقول المفكر نجيب فاضل: على كل مسلم أن يرى نفسه مثل حبة أرز توازن الميزان". أي لا يتوازن الميزان إلا بوجوده، ولا يتم عمله إلا به. فكل واحد منا يحتاج إلى الآخر، وعلى كل واحد أن يؤدي عمله في إصلاح المجتمع بالاتحاد في القلب والاتحاد في العمل وقت الضرورة.

نور الدين بلدز: وعلينا أن نزيد أمراً على ما ذكرت، فالاتحاد والاجتماع ليس بالأمر اليسير. فلكل واحد منا طبع، وطوبى لنا إذا استطعنا أن نجتمع معاً على اختلاف طبائعنا. وعلينا أن نكون ثابتين في موضوع التفاهم بيننا. وعندئذ نستطيع أن ننجح في امتحان الدنيا جميعاً بإذن الله تعالى.



تحريضات وتحذيرات من القرآن الكريم

الأستاذ د. إسماعيل لطفي شاكان

الخير في ترك التثليث

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء، ١٧١)

ولكن المخاطبين في القسم التالي من الآية هم النصارى الذين يدعون الباطل بقولهم إن سيدنا عيسى "ابن الله" وأنه "واحد من ثلاثة آلهة" - من الممكن القول إن "الخطاب عام، والمقصود خاص" في الجملة الأولى من الآية الكريمة، وإن المخاطبين هم النصارى فقط-. وأما الحقيقة التي لا شك فيها فهي التي ذكرتها الآية الكريمة: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ). ولا يقتضي كون عيسى عليه السلام "كلمة" و"روحاً" أنه خرج من صفة أنه رسول ويُعلن أنه "ابن الله" أو "الله"، لأنه نبي عبد مخلوق، أي إنه "نبي من الله".



يخاطب الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أهل الكتاب عامة والنصارى خاصة ويبيّن لهم أن الخير في ترك الاعتقاد بعقيدة التثليث والإيمان بوحداية الله (أي التوحيد). وعبارة (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) موجّهة لليهود والنصارى معاً. لأن اليهود والنصارى ينسبون إلى الله غير الحق، حيث يقول الله تعالى:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (التوبة، ٣٠)

الإسلام دين التوحيد

لذلك كان الإسلام الدين الحق الوحيد للمؤمنين به ولكافة الناس على اختلاف أديانهم. فالتفكر والتدبر بهذه الحقيقة القطعية التي بيّنها القرآن الكريم خيرٌ لأهل الكتاب خاصة وللناس عامة.



وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" (البخاري، أحاديث الأنبياء، ٤٨؛ مسلم، الإيمان، ٤٦).

وقد حذر رسول الله ﷺ أمته بقوله:

"لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإننا أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله" (البخاري، الأنبياء، ٤) وقال الله سبحانه وتعالى في الآيات الثلاثة الأولى من السورة التي تحمل اسم نبينا:

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) (محمد، ١-٣)

فنرى في هذه الآيات الكريمة بوضوح أن الابتعاد عن الكفر الذي يضر بصاحبه والإيمان بسيدنا محمد والحق الذي نزل من الله، هو خير للمؤمنين جميعاً في كل زمان ومكان، والنصارى الذين يتحولون من التثليث إلى التوحيد، وأن البعد عن الشرك بكل أنواعه والتوجه إلى الإله الأحد خير للناس جميعاً. لأن الحقيقة في عقيدة التوحيد هي العبودية والاعتدال، وأما خارج التوحيد فثمة الشرك والظلم والكفر والإلحاد والغلو والضلال.

لذلك كان الإسلام الدين الحق الوحيد للمؤمنين به ولكافة الناس على اختلاف أديانهم. فالتفكر والتدبر بهذه الحقيقة القطعية التي بيّنها القرآن الكريم خيرٌ لأهل الكتاب خاصة وللناس عامة.

فعلى أهل الكتاب أن يؤمنوا بالله ووحدانيته وبالأنبياء كلهم بما فيهم سيدنا محمد ﷺ -إن أمر (آمَنُوا بالله ورسوله) دليل يدحض ادعاء الذين يقولون: إن القرآن لا يأمر أهل الكتاب بالإيمان بسيدنا محمد ﷺ -،

وَألا يرفعوا سيدنا عيسى عليه السلام من مرتبة العبودية والنبوة إلى مرتبة الألوهية. وقد حذرت الآية الكريمة من ذلك في عبارة (وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ) وبالتأكيد عليها في عبارة (خَيْرًا لَكُمْ). أي إن الآية تأمر النصارى بترك التثليث بالشرك الظاهر بقولهم "الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة" أو بالشرك بطريق التأويل بقولهم "الأب والابن والروح القدس (الأقانيم الثلاثة)". لأن الله إله واحد، ولا يقبل أن يُشرك به شيئاً بأي شكل من الأشكال. فهو واحد في وجوده وفي ألوهيته، ولذلك "لا مجال قطعاً لأن يكون له ولد".

وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة وفي آيات أخرى أن (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) (النساء، ١٧١)

لذلك كان التثليث أي الإيمان بثلاثة آلهة مناقضاً للتوحيد أي الإيمان بوحدانية الله تعالى وكفرًا صريحاً. وفي التركيز على عدم الغلو ونسب غير الحق إلى الله تعالى أكد القرآن الكريم على أن سيدنا عيسى نبي وابن مريم وذكر أن التثليث كفر:

(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ... (المائدة، ٧٥)

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المائدة، ٧٣)

وقد قال رسول الله ﷺ:

"من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله،

شجرة العائلة

تسكن في البيت نفسه. والجد والجدة في بيت وحدهما،
مع أنهما نهر ثقافة يجري من الماضي إلى الحاضر. أي إنهما
اللذان يحملان القيم للأجيال القادمة...

وما الحل يا عزيزي؟

- يجب أن تسكن الأسرة الكبيرة في البناء نفسه إن
أمكن، وإلا ففي المجمع السكني نفسه أو الزقاق نفسه.
حتى يكون الأحفاد قريبين من الأجداد. وإلا جرف
السيول القادم مستقبلنا.

لماذا أنت صامتة يا أختي النفس؟

- قال أخي العقل قبل قليل: إذا كانت الجذور سليمة،
فتكون الفروع والأغصان كثيفة عالية. كلامه صحيح. لم
يبق لي شيء من جدي وجدتي مع الأسف. ولو بقي منهما
شيء، أكنت حريصة طماعة إلى هذه الدرجة؟ وتلوموني
لأنني أسعى وراء ملذات الدنيا. عليكم أن تروا المذنب
الحقيقي.

يقول الشاعر: "جذعها أبي وأمي/ اللذان يغذيان
بالمحبة/ وفروعها في الجهات الأربعة/ أقاري في كل
مكان" هل تكملين كلامك يا أختي النفس؟

إلهي، لا تجعلنا ظالمين، ولا تحرمنا من أوطاننا ومن
سماع الأذان في كل مكان، واجعل شجرة عائلتنا سليمة
الجذور عالية الفروع، وأعنا في حياتنا.

قال الشاعر مشبها الأسرة بشجرة: "في جذور هذه
الشجرة/ جدي وجدتي/ وكل أيامنا ربيع/ بدعائهما
لنا" فماذا تقول يا أخي العقل؟

- لقد كان تشبيهاً جميلاً يا أخي. لا بد أن تكون
الجذور سليمة عميقة حتى تكون الفروع والأغصان
كثيفة عالية، فثمة علاقة بين جذور الشجرة وأغصانها.
تفضل يا قلب!

- لقد كان تفسير أخي العقل تفسيراً حسناً. نعم،
"انعدام الجذور يُثمّ كبير". نعم، "من لا يعرف جده،
لا يعرف شيئاً". هذه القواعد تنطبق على الأسرة وعلى
الأمم. ويؤسفنا أن نعلم أن التطورات الأخيرة في وقتنا
قد أضعفت علاقتنا بجذورنا. فالأسرة الكبيرة الآن لا





بشر. علينا ألا نستبعد الفرد
مهما كان. لأن الحمل البعيد
عن القطيع تأكله الذئاب.
وليس لدينا فرد نعطيه
للذئاب.

وماذا عن أصدقائنا؟

- الأصدقاء حولنا جيّدون
طيّبون، ولكن الأسرة أمر

مختلف يا عزيزي. فنحن قطعة من الدّينا، ونشارك
إخوتنا البطن نفسه.

ما رأيك بالأقارب يا أختي النفس؟

- أحب عمي وخالي وعمتي وخالتي. ومهما
كانت لي حاجة للمال، أذهب إلى بيوتهم، وأجلس وأنا
مطأطئة الرأس. فيسألوني عن أحوالي، ثم يملؤون
جيبني. الأقارب طيبون، طيبون جدًّا! لا سيما الأغنياء
الكرماء منهم...

وما رأيك أنت يا أخي العقل؟

- أسأل الله تعالى ألا يفقرهم. وكل شيء جميل مع
الأقارب، العرس والعيد والحياة والموت. والخاله
نصف الأم، والعم نصف الأب. نسأل الله تعالى ألا
يحرمننا من أخواننا وعماتنا. فالحياة تتلون وتصبح أجمل
بوجودهم.

تفضل يا أخي القلب!

- من الجميل مشاركة الفرح والألم! وجميل أن نلتقي
ونجتمع! وجميل أن نتعاون في مواجهة المشقات، فنفرح
في أيام الفرح معًا، ونتعاون ونتكاتف! وهذه الأحوال
الجميلة التي ذكرناها نعيشها أولاً مع الأسرة ثم مع
الأقارب ثم مع الأصدقاء. إذا كانت الأسرة سليمة،
فإن شجرة الأمة تكون شجرة باسقة. نسأل الله تعالى
أن يكرم أسرنا ووطننا وأمة محمد والإنسانية المظلومة!
وأن يجعل قلعتنا الأخيرة باقية إلى قيام الساعة وكل فرد
فيها مسرورًا.

- نعم، كان لدى أبي وأمي حبة عظيمة. لقد ربّيانني
تربية صالحة على قدر استطاعتها. وأطعماني والبستاني
وقدّماني في كل شيء. ولكنهما كانا فقيرين. كنت أحب
أن يكون لديهما مال كثير بقدر حبهما لي. الحب لا يملأ
البطن يا إخوتي!

- وأنا العقل أقول: إذا كانت الدنيا جميلة وتستحق
أن نعيش فيها، فنحن مديونون لله تعالى أولاً ثم
لأسرتنا.

- أنا لست مديونة لأحد يا أخي! ولا أحب أن أدين
ولا أستدين. أنا مديونة لله بروحي فقط.

لقد غضبت النفس يا أخي القلب!

- نحن مديونون لله بكل شيء يا إخوتي. فالأسرة
أيضًا بحر محبة أكرمنا بها المولى. ولو كانت حياة الجنة
في الدنيا، لكانت في مرحلة الطفولة، لأن أكبر ميزة في
الجنة أننا ننال كل ما نطلبه. وإذا كان لدى الأب والأم
إمكانية، لنال كل طفل ما يريد. ولا يعرف أحد قيمة
الوالدين أكثر من اليتيم.

- كلامك صحيح يا أخي القلب.

أكمل يا أخي العقل!

- إن الأسرة أساس بناء الأمة. وكلما كان
الأساس سليمًا، كان البناء قويًا متينًا. وإذا لاحظتم
في الآونة الأخيرة، تجدون أن قوى الشر بدأت تهاجم
الأسرة. فعلينا أن ندافع عن الجهة التي يهجم عليها
أهل السوء. علينا ألا يسيء بعضنا لبعض من أجل
أسباب تافهة، وعلينا ألا ننسى أننا جميعًا نسير على
سفينة الأسرة.

- شكرًا يا أخي العقل. الأسرة القلعة الأخيرة التي
نلجأ إليها وندافع عنها. وفيها فقط نتشارك الأفراح
والأتراح. ألا ينزعج بعضنا من بعض أحيانًا؟ بلى،
ولكننا نلف جراحنا بالحب فتشفي. على أفراد الأسرة
أن يعامل أحدهم الآخر معاملة حسنة، ولا يكبر
الأخطاء الصغيرة. وعلينا أن نعتذر حين نخطئ لأننا

زيد بن أرقم

رَضِيَ عَنْهُ

الذي لا يسكت أمام الظالم

بالمشاركة في المعركة لصغره سنه، حيث كان عمره عشرة أعوام. وكلفه النبي ﷺ بحراسة من بقي في المدينة. واشترك زيد ﷺ الذي لم يتمكن من الانضمام إلى جيش المسلمين يوم أحد في سبع عشرة غزوة. وخرج إلى غزوة مؤتة التي كانت في العام الثامن للهجرة وهو راكب خلف عبد الله بن رواحة ﷺ.

ويتحدث عن زيد ﷺ عن واقعة جرت معه في تلك الرحلة، فيقول: "كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أديتني وحملت رحلي
مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم وخلاك ذم
ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادروني
بأرض الشام مشتهى الثواء

فلما سمعتهن منه بكيت. فخفني بالدرة وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الله شهادة، وترجع بين شعبي الرحل؟" (محمد يوسف قندهلوي: حياة الصحابة، ٢، ١٤٤)

زيد بن أرقم رضي الله عنه:

- هو من الأبطال الصغار الذين جاؤوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام يوم أحد ليأذن لهم بالانضمام إلى جيش المسلمين والاشتراك في المعركة!
- هو الصحابي الصغير الذي سلّم نفسه لله ولرسوله وهو في سن مبكرة من حياته!
- هو جندي من جنود العلم الذي يعلم بأن السكوت عن الظلم من الشيطان!
- هو جندي من جنود الإيمان الذي ثبت فضله بالوحي، وصار سبباً لنزول سورة المنافقين!
- وهو الصحابي الذي صدقه الله تعالى عندما حلف المنافق كذباً وأنكر ما قاله لزيد، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾.

ينتسب زيد بن أرقم ﷺ إلى قبيلة الخزرج، ونال شرف دخول الإسلام في عمر صغير.

ولد في عام ٦١٢م، وكان يتيماً في المدينة، وتربى وكبر في كنف عبد الله بن رواحة ﷺ.

وعلى الرغم من صغر سنه فقد أراد مع أسامة وعبد الله بن عمر الاشتراك في غزوة أحد. ولكن لم يؤذن له



لقد كان زيد بن أرقم رضي الله عنه بغاية الصدق والإخلاص والحرص في مسألة عيش حياته بالمبادئ والقيم والفضائل الإسلامية. ويروي في هذه المسألة الحديث الآتي: عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة"

قيل: وما إخلاصها؟ قال عليه الصلاة والسلام:

"أن تحجزه عن محارم الله عز وجل". (الترغيب ٧٤/٣؛

محمد يوسف قندهلوي: حياة الصحابة، ٣/ ٣٢)

إن زيد بن أرقم رضي الله عنه هو الصحابي الذي ثبت فضله وأحقية موقفه بالوحي الإلهي، وهو جندي من جنود الإيمان الذي كان سبباً لنزول سورة المنافقين.

ففي غزوة بني المصطلق أو غزوة تبوك سمع زيد رضي الله عنه كلام رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول لأصحابه، وأعلم النبي ﷺ بقوله عن طريق عمه. فنادى النبي ﷺ في بادئ الأمر على زيد وسمع منه الخبر، ثم بعد ذلك أرسل في طلب عبد الله بن أبي بن سلول وسأله عما إن كان قد قال لأصحابه ما أخبره به زيد. فكذب ابن سلول الخبر وأقسم بأنه لم يقل ذلك، فصدقه النبي ﷺ. وأخذ الناس يلومون زيدا الذي وقع ضحية

لرأس النفاق، وبدا لهم كاذباً، فحزن زيد رضي الله كثيراً، وأمضى ليلة ثقيلة كثقل الجبال، وفي اليوم التالي نزلت الآيات التي تبين صدقه، وكذب المنافقين، وتؤكد بأنهم قد قالوا ما أخبر به زيد. إذ يقول الله تبارك وتعالى:

﴿هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ. يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٧-٨)

وبناءً على ذلك قال النبي ﷺ لزيد:

"إن الله قد صدقك يا زيد!"، فسرَّ رضي الله عنه.

ويروي زيد بن أرقم رضي الله عنه هذه الحادثة بنفسه، وهي كما جاءت في المصادر: عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر، أصاب الناس فيه شدة، فسمعت عبد الله بن أبي يقول:

- لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدّقه، فقال بعض الصحابة: كذب زيد رسول الله ﷺ. فوقع في نفسي مما قالوه شدة. فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت حتى أنزل الله تعالى تصديقي: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ...﴾. ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم، فلووا رؤوسهم. (البخاري: سورة المنافقون، ١)

يذكر هذا الحديث عدة أمور مهمة:

إن إخبار النبي ﷺ بالمؤامرات والخطط التي يحكيها المنافقون ضد المسلمين لا يُعد غيبة أبداً. والنبي ﷺ لم يؤنب زيداً بسبب فعله هذا. وإنما أراد فقط التحقق من وقوع الأمر، ولما أنكر المنافقون ذلك، وأقسموا عليه صدقهم الرسول ﷺ، وعدّ زيداً مخطئاً في المسألة. وأما زيد ﷺ فقد أصابه حزن شديد لتعرضه لهذه الحالة من التكذيب. حتى إنه من شدة الحزن دخل خيمته، واعتزل الناس كما جاء في هذه الرواية وروايات أخرى.

وجاء في رواية أخرى أن النبي ﷺ قد أشار

إلى أن زيداً ربما قد توهم سماعه حديث عبد الله بن أبي والمنافقين معه، فتأثر زيد كثيراً بهذا القول. لما نزلت السورة التي صدّقت زيداً، وكذّبت المنافقين، ونقلت الواقعة تماماً كما أخبر بها زيد ﷺ، أرسل رسول الله ﷺ في طلب زيد ومسح بيده الشريفة على أذنه، وقال: "وفي الله بأذنك يا غلام".

ولهذا السبب صار يُعرف بـ "الذي صدق الله أذنه". كان ذاك الفتى الصغير جندياً من جنود المحبة والإيمان، سلّم نفسه لله ولرسوله منذ صغره. وصار

من كتّاب الوحي لأنه كان يجيد القراءة والكتابة. وتعد الحادثة التالية أمراً عظيماً من ناحية إظهارها لمدى المحبة التي كان يكنها زيد في قلبه تجاه رسول الله ﷺ وآل بيته: لقد حضر زيد بن أرقم ﷺ بنفسه حادثة كربلاء التي أدمت قلبه. إذ لما جيء برأس الحسين ﷺ الذي وصفه محمد ﷺ بـ "سيد شباب أهل الجنة"، إلى والي الكوفة والبصرة عبيد الله بن زياد كان زيد ﷺ هناك.

ولما جعل عبيد الله بن زياد ينقر بقضيب في يده في شفتي الحسين وأسنانه، لم يتمالك زيد بن أرقم نفسه فاستشاط غضباً وصرخ بابن زياد قائلاً:

"ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ عليها ما لا أحصيه كثرة تقبلهما." ثم انتحب باكياً لهذا الغدر، والخيانة، والوحشية. فغضب الوالي ابن زياد من كلامه، وقال له: "والله لولا أنك شيخ كبير قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك."

لم يكن زيد ﷺ ممن يأبه بهذه التهديدات الفارغة. لقد تعلم من النبي ﷺ أن السكوت عن الظلم من الشيطان.

وعندما همّ بالانصراف أخذ يخاطب الحاضرين بقوله: "يا معشر العرب، أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمّرت ابن مرجانة (يقصد الوالي ابن زياد)، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذل، فبعداً لمن رضي بالذل!"

كان زيد ﷺ البطل الشجاع الذي لم يكن يسكت أمام الظالم، ولا يتحمل الظلم أبداً. لم يفارق النبي ﷺ أبداً، وطبّق كل ما تعلمه منه في حياته بكل صدق وإخلاص، وأمضى حياته بالتقوى والصلاح.

كان زيد ﷺ
البطل الشجاع الذي لم
يكن يسكت أمام الظالم، ولا
يتحمل الظلم أبداً.
لم يفارق النبي عليه الصلاة
والسلام أبداً، وطبّق كل ما
تعلمه منه في حياته بكل صدق
وإخلاص، وأمضى حياته
بالتقوى والصلاح.



الأسوة الحسنة

والنبي عليه الصلاة والسلام نموذج وقدوة في الصبر وتسليم الأمر لله تعالى في الظروف والمواقف الصعبة والحرجة. وهو قدوة في الجود والكرم، وعفة النفس عند المغانم، وقدوة كذلك في الشفقة والرحمة التي يتمتع بها تجاه أهل بيته. وقدوة في الإشفاق والرحمة بالضعفاء، والمشردين، والرقيق. وقدوة في العفو والصفح عن العصاة والمجرمين.

فيا أيها الإنسان! إن كنت غنياً وصاحب ثروة؛ ففكر بتواضع وكرم ذلك النبي رفيع الشأن الذي حكم سائر شبه الجزيرة العربية، واستمال إليه كافة الأطياف والقبائل العربية بالمحبة!

وإن كنت واحداً من الضعفاء؛ فتذكر حياة النبي ﷺ التي عاشها في مكة تحت سلطة وإدارة المشركين الظالمين، والمغتصبين لسائر الحقوق! واتخذها قدوة. وإن كنت فاتحاً منتصراً؛ فخذ عبرة من حياة نبي الجرأة والشجاعة الذي اختطف النصر من أعدائه في بدر وحنين!

فيا أيها الإنسان! إن كنت غنياً وصاحب ثروة؛ ففكر بتواضع وكرم ذلك النبي رفيع الشأن الذي حكم سائر شبه الجزيرة العربية، واستمال إليه كافة الأطياف والقبائل العربية بالمحبة!

فيا أيها الإنسان! مهما كانت ظروفك، وصفتك، وأحوالك فليكن محمد المصطفى ﷺ مرشدك الكامل، ومثلك الأعلى في سائر أعمالك وأوقاتك وأحوالك...

يقول الله تعالى عن النبي عليه الصلاة والسلام في كتابه الكريم في سورة القلم:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

إن سيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام وشخصيته المباركة بكل مظاهرها التي يتسطيع العقل البشري استيعابها تشكل مرتبة القمة في منظومة السلوكيات والتصرفات البشرية. وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل هذا الكائن المبارك أسوة حسنة للإنسانية جمعاء. ولذلك فإن الله تعالى قد بدأ بإعدادة منذ مرحلة الطفولة اليتيمة التي تُعد أدنى مراحل العجز والضعف، ثم مروراً بجميع مراحل الحياة وأطوارها إلى أن وصل به إلى أعلى نقطة فيها من حيث القوة والقدرة، إذ رفعه إلى مرتبة النبوة ورئاسة الدولة التي تُعد أعلى مناصب ومواقع البشر.

وذلك حتى يتمكن الناس في أي موقع أو طور من أطوار الحياة البشرية كانوا، أن يتمكنوا من اتخاذ هذه التصرفات والأفعال الكاملة نموذجاً ومثلاً أعلى لهم، ثم يعملوا على اتباعها أو تنفيذها بقدر استطاعتهم. وإن هذا الاقتداء يتحقق بقدر المحبة والارتباط اللذين يشعر بهما الإنسان تجاه الرسول عليه الصلاة والسلام.

إن الرسول عليه الصلاة والسلام قدوة في القيادة الدينية، وقدوة في رئاسة الدولة، وقدوة لمن دخلوا في رابطة المحبة الإلهية، وكذلك قدوة في التواضع والشكر على النعم الكثيرة التي يتلطف بها الله تعالى على المرء.

رؤية العالم بقلب صافٍ



بالطمأنينة والسكينة، ويُمسون مصونين عن كثير من حالات الضعف البشري مثل الاضطراب والقلق.

فبالنسبة إليهم لا شيء اسمه «عبث»، إذ إنهم يبدؤون مرحلة الترقى المعنوي بعبارة «اصفح عن المخلوق من أجل الخالق»، وينظرون إلى العالم بأحاسيس مليئة بالعبرة والمحبة والدهشة، ومدركين الحكمة من وراء الأحداث.

فنظرهم إلى الكون هي نظرة قلبٍ مفعم بالجمال، يسهل عليه رؤية الجمال وإدراكه في كل شيء حتى في الصحراء الجرداء، فيرى تموجات رمالها وصفير رياحها لوحة سمعية بصرية بديعة، رغم ما تثيره لدى الناس من ذعر؛ حتى غروب الشمس وإقبال الليل وحزم الضوء التي تتسرب أشعتها عبر غيوم السماء التي قد توحى للبعض بخوفٍ من يوم شاتٍ ممطر ذي رعد وبرق، بينما هو يوحى لهم بمشهد لوحة إعجازية سماوية ترسمها القدرة الإلهية.

حتى الحيوانات والهوام المتوحشة لا ينظرون إلى وحشيتها وأظلافها ومخالبها وسمومها نظرة الإنسان الخائف من عداوتها؛ بل نظرة الفنان المفتون بألوانها وحركاتها وعجائب أشكالها وقدراتها، وما منحها الله تعالى من خصوصيات.

إن الإنسان الذي ارتقى بقلبه ليصل به إلى مرتبة «القلب السليم» عبر المجاهدات البشرية والتربية الصوفية والألطف الإلهية، ووصل إلى حالة الطهر والصفاء والربانية، هو إنسانٌ في صورته، لكنه كالملائكة في مقامه وسيرته.

وبعض مَنْ وصل إلى هذه الدرجة هم كالنجوم التي تحتل موقعاً بين ملايين النجوم في هذا الفضاء، يعيشون في خفاء بالنسبة إلى العالم الخارجي، ويحيون في عالمهم الخاص، ولا يُعرفون أبداً.

وبعضهم الآخر قد يعيش ظاهراً في دنيا الناس وعالمهم، إذ يؤدي مهامَّ ووظائف اجتماعية موكولة إليه، وهؤلاء ممنْ حظوا بالخلود والحياة بعد الموت؛ إذ يصيرون في حياتهم قادة وقدوة، وبعد وفاتهم نبراساً وأسوة، وطوال تاريخ البشرية مشاعل هداية؛ لا بل يستمرون في وظائفهم البشرية حتى بعد انتقلهم إلى دار القرار.

ويدركون السبب النهائي في سلسلة الأسباب الموجودة وراء الحوادث، أي إنهم يدركون الإرادة الإلهية، ولهذا يعيشون وهم محيطون بالحكمة ومُطلّلون

